الركن الخامس

(حج مبرور، وسعى مشكور، وذنب مغفور)

[بإذن الله تعالى]

إعداد

د. عبد الحى الفرماوى

الأستاذ بجامعة الأزهر

DR. FARAMAWY@ISLAM guidance. Com

wwwISLAM guidance. Com

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م

رقم الإيداع: ٣٦٨٢ / ٢٠٠٣

الترقيم الدولى : 977-265-428-8

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾

[آل عمران: ٩٧]



مدخل

الحج: هو الشعيرة الرابعة فى الإسلام، والركن الخامس من أركانه، وهو آخر ما فرض من الشعائر والعبادات التى رسم الله حدودها ومعالمها.

إذ كانت فرضيته فى السنة التاسعة من الهجرة النبوية على أرجح الأقوال.

والحج: هو تلك الرحلة الفريدة فى عالم الأسفار والرحلات. ينتقل المسلم فيها ببدنه وقلبه إلى «البلد الأمين» - الذى أقسم الله به فى القرآن- للوقوف بعرفات، والطواف ببيت الله الحرام، الذى جعله الإسلام رمزًا لتوحيد الله، ووحدة المؤمنين به، ففرض على المسلم أن يستقبله كل يوم فى صلواته: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤، ١٥٠]. ثم فرض عليه أن يتوجه إليه بشخصه ويطوف به بنفسه فى العمر مرة واحدة[١].

إن هذا البيت العتيق: هو أول بيت أقيم فى الأرض لعبادة الله، وبانيه هو الخليل إبراهيم وولده الذبيح إسماعيل وهما الرسولان الكريمان اللذان جعل الله من ذريتهما هذه الأمة المسلمة، واستجاب دعوتهما الخالصة وهما يشيدان هذا البناء العتيد: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ

---

(١) انظر: د. يوسف القرضاوى.. العبادة فى الإسلام ص ٢٨١، ٢٨٢.

(١٢٨) ربَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٦ - ١٢٩].

إن إبراهيم الخليل قد عرف فى التاريخ بأنه عدو الشرك، ومحطم الأوثان، ورمز التوحيد، وأبو الملة الحنيفية، فملته هى الإسلام الخاص، وهو الذى سمانا المسلمين من قبل، فلا عجب أن يكون بينه وبين المؤمن من هذه الأمة روابط روحية لا تضعف منها مسافة الزمن الطويل، روابط تجعلهم دائمًا ذاكرين لهذا الأب الجليل منقبته وفضله: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾

[آل عمران: ٦٧، ٦٨]

فى ظل هذه المعانى والمشاعر والروابط التى تربط المسلمين بالبيت الحرام وبانيه الأول إبراهيم، فرض الله الحج على كل مستطيع وجعل تركه أو الاستخفاف به كفرًا بالله ومروقًا من الدين: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران ٩٦، ٩٧].

* * *

وبعد..

أخى المسلم..

أختى المسلمة..

أدعو الله تعالى.. .أن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال، وأن يجعل سعيكم مشكوراً، وحجكم - إن شاء الله تعالى - مبروراً، وذنبكم مغفوراً.

وهذه مجموعة من النصائح والذكريات والإرشادات والمعلومات أقدمها بين يديك - وأنا أحوج إليها منك - راجيًا من الله تعالى.. أن ينفعنى وإياك بها، وأن يكتب لك ولى أجر الإخلاص فيها، فهمًا، وتنفيذاً.

ونلفت النظر: إلى أن ما يحتويه هذا الكتيب ليست مجموعة من الأحكام والآراء الفقهية بقدر ما هى مجموعة من التوجيهات التربوية.

التى تساعدنا فى الإفادة من هذه الرحلة الإيمانية الجهادية،إلى البقاع الطاهرة، والأماكن المقدسة، ومواطن الرحمات.

والتى تساهم فى تغيير سلوكياتنا إلى الأفضل، الذى يُرضى الله عنا، خلا ل هذه الرحلة، وبعد الانتهاء منها، والعودة بسلامة الله إلى بلادنا وبيوتنا وأهلينا.

والتى نضرع إلى الله عز وجل.. أن ينفعنا بها فى الدنيا وفى الآخرة، خاصة: ونحن نسير إلى رحابه، ونلوذ بجنابه، ونطمع فى نوال عفوه وغفرانه.

* * *

ولنا معك فى هذا الكتيب أربعة فصول :

الفصل الأول : مطالب أولية .

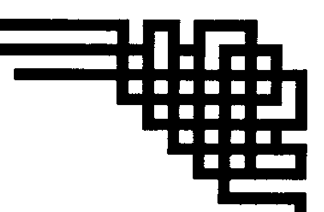
الفصل الثانى : ذكريات غالية .

الفصل الثالث : نتائج مرجوّة .

الفصل الرابع : مناسك الحج والعمرة .

فإلى بيانها - بعون الله تعالى - فى الصفحات التالية .

* * *



الفصل الأول
مطالب أولية

* **تمهيد**
* **المطلب الأول** : التوبة .
* **المطلب الثاني** : تجديد النية .
* **المطلب الثالث** : الإخلاص .
* **المطلب الرابع** : لزوم الاتباع .
* **المطلب الخامس** : تصفية القلب .
* **المطلب السادس** : التهيؤ للبقاع الطاهرة .
* **المطلب السابع** : معرفة أن الحج رحلة جهادية .
* **المطلب الثامن** : تلمس الحكم والأسرار .
* **المطلب التاسع** : معرفة بعض منافع الحج .
* **المطلب العاشر** : الانتفاع بهذا المؤتمر .

تمهيد

أخى المسلم.. أختى المسلمة..!!

من الضرورى جداً .. على كل واحد منا يريد حج بيت الله الحرام، وهو يرجو غفران ذنوبه:

– أن يستخير الله تعالى، وسنة الاستخارة: صلاة ركعتين يقرأ فيهما سورة الإخلاص بعد فاتحة الكتاب، ثم يدعو بدعاء الاستخارة، المأثور عن النبى ﷺ.

– وأن يقضى ديونه، قبل سفره.

– وأن يجتهد فى أن يكون ماله من حلال، فإنه لا ثواب للحج بالمال الحرام.

– وأن يطمئن على أهله، وأمورهم، ونفقاتهم، خلال غيابه عنهم.

– وأن يتخذ – خلال رحلته – رفيقًا صالحًا، إن نسى ذكره، وإن جزع صبَّره، وإن عجز أعانه[1].

– وأن يهيئ نفسه بهذه الأمور الأولية الهامة، قبل أن يجهز أمتعته

---

(١) انظر: الفقه على المذاهب الأربعة.. إصدار: وزارة الأوقاف المصرية (الطبعة السابعة ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م)، ص ٦٥٣.

وحاجياته المادية التي يحملها معه خلال هذه الرحلة الإيمانية المباركة.

وذلك: حتى يستفيد من رحلته هذه على أكمل وجه، وحتى يكون عمله مقبولاً - بإذن الله تعالى - وسعيه مشكوراً، وذنبه - إن شاء الله تعالى - مغفوراً.

* * *

المطلب الأول

التــوبـــة

على المرء: أن يجلس مع نفسه، ويختلى بها، ويحاسبها على ما مضى من الأفعال والأقوال.. فما وجده خيراً حمد ا لله تعالى عليه، ورد الفضل فى ذلك إلى مولاه، وتوجه بالشكر إليه، دون مَنٍّ أو غرور، وإلا ضاع عمله هباءً منثوراً، وما وجده على غير ذلك أنّب نفسه عليه، وعاتبها فيه، وبدأ فى إجراءات التوبة منه، والبعد عنه.

وهذه هى: المحاسبة، التى حث عليها سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه، حينا قال: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا، وتهيؤا للعرض الأكبر، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ **يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ** ﴾» [الحاقة:١٨].

وما دام الإنسان يبتغى بحجه هذا مرضاة الله عز وجل، والتعبد إليه بأداء هذه الفريضة: فليكن خاليًا من الذنوب، طاهراً من المعاصى، قدر الإمكان، قبل التوجه إلى رحابه الطاهرة، وأماكن رضوانه سبحانه المقدسة.

ويكون ذلك بالتوبة الصادقة لله تعالى.

ومن الأمور الموضحة لهذه التوبة المطلوبة منك أخى الكريم، وأختى المؤمنة:

موقف سيدنا الإمام على بن أبى طالب رضى الله وعنه، حينما سمع

رجلاً يقول على وجه العجلة والسرعة، ودون تركيز: اللهم إنى أستغفرك وأتوب إليك».

فقال: يا هذا.. إن سرعة الاستغفار فى التوبة، توبة الكذابين.

فقال الرجل: وما التوبة..؟

قال: يجمعها ستة أشياء:

١ – على الماضى من الذنوب: الندامة.

٢ – وللفرائض: الإعادة.

٣ – ورد المظالم لأهلها.

٤ – واستحلال الخصوم، وطلب الصفح منهم.

٥ – وأن تقلع عن الذنب فوراً، وتعزم صادقًا على أن لا تعود.

٦ – وأن تذيب نفسك فى طاعة الله، كما أذبتها فى المعصية، وأن تذيقها مرارة الطاعة، كما أذقتها حلاوة المعصية»[١].

وأيضًا: هذا الحديث الشريف[٢] الذى يرويه سيدنا أبو بكر رضى الله عنه، حيث يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما من عبد يذنب ذنبًا، فيحسن الطهور، ثم يقوم فيصلى ركعتين، ثم يستغفر الله: إلا غفر الله له»** ثم قرأ هذه الآية: **﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ**

---

(١) انظر: سليمان الجمل.. الفتوحات الالوهية ٤ / ٣٦٩، ٣٧٠.

(٢) رواه أبو داود.. ك الصلاة، باب الاستغفار.

يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

واعلم **أخى المسلم وأختى المسلمة**.. أن ربنا كريم عظيم حليم، يقبل التوبة من كل تائب، بل يفتح باب التوبة لكل تائب مهما كان ذنبه أو معصيته، طوال حياته، ما لم يصل إلى غرغرة الموت، ومفتوح لجميع الناس إلى أن تطلع الشمس من مغربها.

كما أن ربنا عز وجل، كما فى الحديث الشريف: **«يبسط بالليل ليتوب مسىء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها»**(١).

ومهما تعاظمت الذنوب: يغفرها، كما فى الحديث الشريف: **«لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء، ثم تبتم: لتاب عليكم»**(١).

أخى الحبيب، أختى الفاضلة..

ما دام الأمر كذلك.. فلم لا نتوب توبة صادقة، من الآن، وقبل هذه الرحلة..؟

نتسامح مع من أخطأ فى حقنا ونعفوا عنه، ونطلب الصفح ممن أخطأنا فى حقه، ونرد الحقوق لأصحابها، مهما كانت منسية، صغيرة كانت أو كبيرة.

وكل إنسان أدرى بحاله، ويعلم حجم ذنوبه وخطاياه، ومدى حاجته إلى التوبة، وعفو الله تعالى.

---

(١) رواه مسلم، كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب.

ولا ينبغى أن يظن واحد أنه الوحيد المذنب، حتى لا يصاب باليأس - والعياذ بالله - من رحمة الله، بل - كما يقول الحبيب ﷺ : **«كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»**(١).

وأخيراً.. لا ينبغى أن تكون هذه التوبة لظروف أداء فريضة الحج إلى بيت الله فقط، حتى إذا ما عاد بسلامة الله: أهمل التوبة، وتراخى فيها، وظن أنه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، فلا يحتاج إلى توبة بعد ذلك..!!

لا..لا.. بل التوبة فى كل حال، وإلا صدق عليه قول الشاعر الحكيم:

إذا مرضنا نوينا كل صالحة   فإن شفينا فمنا الزيغ والزلل

نرجوا الإله إذا خفنا.. ونسخطه   إذا أمنا.. فما يزكو لنا عمل

لهذا يجب الانتباه واليقظة الشديدة لهذا الموضوع.

* * *

المطلب الثانى

تجـديـد النيـــة

على الإنسان : أن يراجع الإنسان نيته فى هذا العمل، ويسائل نفسه : لم يشترك فى هذه الرحلة الشاقة؟ وماذا يريد من ورائها؟ وماذا يرجو بسببها؟

فإن وجد خيراً : حمد الله تعالى، ورد الفضل إليه سبحانه .

وإن وجد غير ذلك : جدد نيته فى هذه العبادة، وصحّح رغبته، وحدّد مسيرته، وبين لنفسه أنه ينبغى من ورائها رضوان الله فقط، وإلا ضاعت عليه جهوده التى سيبذلها، وأمواله التى سينفقها .

وما ذلك : إلا لأن الأعمال بالنيات، كما فى الحديث الشريف : **«إنما الأعمال بالنيا، وإنما لكل امرئ ما نوى .. فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله : فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها : فهجرته إلى ما هاجر إليه»**(١) .

ولذلك : ينبغى على العاقل أن ينوى بهذه الرحلة طاعة الله تعالى، وطلب عفوه وغفرانه ورضوانه فقط، ثم عليه أن يجدد هذه النية فى كل فترة، ومع كل عمل، وفى كل مكان ينزل فيه ويحط رحاله، وفى كل وقت يمر به .

---

(١) البخارى .. كتاب بدء الوحى، باب : كيف كان بدء الوحى .. إلخ .

وعليه أيضاً: أن يؤكد ذلك.. بالاستغفار إلى الله تعالى، والذكر الذى يعطر به لسانه، وينوِّر به بصره، ويطمئن به فؤاده، يقول سبحانه: ﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

وسيد الاستغفار، الذى يساعد على تجديد النية، واستحضارها دائماً – أن يقول الإنسان: **«اللهم أنت ربى، لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك على، وأبوء بذنبى.. فاغفر لى، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»**.

ومن صيغ الاستغفار الحسنة، التى تساعد أيضاً على استصحاب النية.. ما ورد عن بعض الصالحين، حيث يقول: «اللهم إنى أسألك واستغفرك من كل ذنب تبت إليك منه: ثم عدت فيه.

وأستغفرك من كل ما وعدتك به من نفسى: ثم لم أف لك به.

وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك: فخالطة غيرك.

وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها علىّ: فاستعنت بها على معصيتك»[1].

وما كل ذلك.. إلا لتظل النية بهذا العمل متوجهة إلى طاعة الله تعالى، خالصة فى ذلك، رجاء رضوانه تبارك وتعالى.

* * *

---

(١) الأبشهى.. المستطرف ٢ / ٢٩٠.

المطلب الثالث

الإخـــلاص

أن يخلص الإنسان قصده ونيته بهذا العمل وجه الله تعالى وحده، والتقرب به إلى الله سبحانه دون أى شيء أخر، من تصنع لمخلوق، أو اكتساب محمدة عند الناس، أو محبة مدح من الخلق، أو شهرة بينهم، أو وجاهة فيهم، أو أى معنى من المعانى سوى التقرب إلى الله تعالى.

حيث يقول تعالى: ﴿ **أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ** ﴾ [الزمر: ٣].

ويقول تعالى: ﴿ **فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ** ﴾ [الزمر: ٢].

ومن هنا: ينبغى أن يكون كل عمل المسلم خالصًا لوجه الله تعالى وحده: ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ** ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

وليعلم المسلم جيداً: أنه بدون هذا الإخلاص لن يقبل منه أى عمل، وستضيع عليه جهوده فيه.

حيث إن الإخلاص لله تعالى فى أى عمل شرط ضرورى لقبوله عند الله تعالى، يقول ربنا عز وجل: ﴿ **وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ** ﴾ [لقمان: ٢٢].

وهذه الآية.. تشير إلى أمرين:

الأول: الإخلاص لله تعالى، والتسليم الكامل له سبحانه.

الثاني: الإحسان فى العمل بموافقته شرع الله تعالى، وحسن الاتباع والالتزام فيه بضوابط الشرع.

وحول الأمر الأول.. يدور حديث النبى ﷺ: **«إن الله لا يقبل من العمل: إلا ما كان خالصًا له، وابتغى به وجهه»**[1].

وحول الأمر الثانى: يكون الحديث فى المطلب التالى.

* * *

(١) النسائى فى السنن.. كتاب الجهاد، باب من غزا يلتمس الأجر والذكر.

المطلب الرابع

لزوم الاتباع

أى: عدم المخالفة، لشرع الله تعالى، أو التعديل له، أو الانتقاص منه، أو الإهمال له.

حيث يقول الحبيب ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا: فهو ردٌّ**»[1] أى مردود على صاحبه، غير مقبول منه.

لأن هذا الدين كامل.. لا يحتاج إلى إضافة: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**﴾ [المائدة: ٣].

كما أن الاتباع فيه واجب: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [آل عمران: ٣١].

ولذلك.. فإن الالتزام بما جاء فى كتاب الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ: فريضة، وهو الدين، كما أن الخروج عليهما أو على واحد منهما إنكاراً: خروج على الدين، فإن كان إهمالاً دون إنكار: كان معصية وإثماً كبيراً، يجب العدول عنه، والتوبة منه.

وهذا فى كل الأمور.. ومنها أمور الحج ومناسكه.

* * *

(١) رواه: مسلم في صحيحه، وأحمد في المسند.

هذا..

ولاحظ أيها المؤمن جيداً: أنه.. من قوله تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢].

ومن قول النبى ﷺ: «**إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا له، وابتغى به وجهه**»(١).

ومن قوله ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا: فهو رد**».

يصبح واضحًا(٢).

أن قبول الأعمال التى يؤديها الإنسان، وصيرورتها فى ميزان حسناته، مرهون بأمرين:

أولهما: صحة الباطن، وذلك يكون بإخلاص القصد وتصحيح النية.

وثانيهما: صحة الظاهر، وذلك يكون بموافقة العمل لشرع الله سبحانه وتعالى.

ولا بد من توافر الأمرين معًا.

بمعنى أنه: لو توافرت النية، وصح القصد، دون تعديل للسلوك، وتصحيح للظاهر، وموافقة للكتاب والسنة فيما يأتى وما يدع؛ فإخلاصه: مزيف، ونيته: صناعة العجزة والكسالى، ولن ينجيه من التقصير إخلاصه هذا، ولن ترفع هذه النية الواهمة الواهية منزلته.

---

(١) النسائى.. كتاب الجهاد، باب من غزا يلتمس الاجر والذكر

(٢) المؤلف.. موسوعة التفسير الموضوعى ص ١ / ٩١ – ٩٣.

وذلك: لأن المفروض أن تؤثر صحة الباطن فى غسل أدران الظاهر، وتصحيح سلوكه، وتقويم إعوجاجه، بل أن يتحرك هذا الظاهر إلى الهيمنة وقوة التأثير لكى يعم الخير وينتشر النور، وتؤدى الرسالة على الوجه الأكمل الذى كلفنا الله تعالى به فى قوله عز وجل: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ** ﴾ [البقرة: ١٤٣].

كما أنه: لو توافرت صحة الظاهر، حتى ولو بموافقة العمل لشرع الله تعالى، دون صحة الباطن، من تصحيح النية، وإخلاص القصد، فإن هذا الظاهر حتى وإن رفع صاحبه فى الدنيا، وحقق له مآربه، لا يعد فى ميزان حسناته، إذ العبرة بالنية والقصد: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى**»[1].

وهؤلاء وإن كانت أعمالهم لا تضيع نتائجها عليهم فى الدنيا بموجب قوله تعالى: ﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ** ﴾ [الإسراء: ١٨]، بل يُوَفِّيها الله تعالى - بعدله - لهم، دون بخس أو نقصان: ﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ** ﴾ [هود: ١٥].

إلا أن هذه الأعمال فى ميزان القبول عند الله تعالى: مردودة عليهم، حتى وإن وافقت الكتاب والسنة، وذلك بسبب أنهم ما قصدوا بها أصلاً وجه الله، وما اتجهت نيتهم بها لطاعته.

---

(١) رواه: البخارى، كتاب: بدء الوحى، باب: كيف كان بدء الوحى..؟

يقـول تعـالى: ﴿ وَقَـدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَـمِلُوا مِنْ عَـمَلٍ فَـجَـعَلْنَاهُ هَبَـاءً مَّنثُـورًا ﴾
[الفرقان: ٢٣]

وخاسرون فيها كذلك: حتى وإن ظنوا أنهم كانوا يحسنون فيها صنعًا، يقول سبحانه: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾

[الكهف: ١٠٣ – ١٠٥]

نعم.. ضل سعيهم، وخاب أملهم: لأنهم ما أخلصوا لله تعالى فى هذه الأعمال، بل ما قصدوا وجه الله تعالى فى هذه الأعمال، بل ما آمنوا بالله تعالى أصلاً خلال هذه الأعمال.

* * *

المطلب الخامس

تصفية القلب من الأحقاد والضغائن

« عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما، قال: قيل لرسول الله ﷺ .. أى الناس أفضل..؟

قال: كل مَخْمُوم القلب، صدوق اللسان.

قالوا: صدوق اللسان.. نعرفه،، فما مخموم القلب..؟

قال: هو التقى النقى.. لا إثم فيه، ولا بغى، ولا غل، ولا حسد »[1].

وبناءً على هذا الحديث الشريف: ينبغى أن تدرب نفسك الآن على أن تكون تقيًا نقيًا، لا إثم فى قلبك، ولا بغى على أحد فى نيتك، ولا غل لأحد فى صدرك، ولا حسد لصاحب نعمة عندك.

وأنا أعرف بالتجربة أن هذه التصفية للقلب: ليست سهلة، ولكن أنت فى ذات الوقت تطلب أمرًا ليس بالهين الذى لا يستحق بذل الجهد، وهو مرضاة الله تبارك وتعالى، كما أنك سوف تتكبّد المشاق البدنية، وتنفق الأموال الكثيرة فى هذه الرحلة - أيضًا - رجاء نوال مرضاة الله عز وجل.

فهل من المعقول.. أن تبذل هذه الجهود، وتنفق هذه الأموال، وتترك أهلك وولدك وعملك: ثم تعود دون تحقيق الهدف، ونوال الرضوان؛ لأن

---

(١) رواه: ابن ماجة، كتاب الزهد، باب الدرع والتقوى، وفى الزوائد: هذا اسناد صحيح، ورجاله ثقات.

قلبك غير صافٍ للناس، وغير خال من الأحقاد والعداوات والضغائن والحسد لهذا وذاك..؟

ولاحظ: أن الشيطان، والنفس الأمارة بالسوء، والهوى.. لن يتركك واحد من هؤلاء تتم عملية التصفية للقلب هذه دون تدخل منه، أو منهم مجتمعون، يصدونك عنها، ويزينون لك ما أنت فيه، وقد يقول لك هذا أو ذاك منهم: أنت أحسن حالاً من غيرك، أو أنت لا تملك نوازع قلبك ولا دخل لك في ذلك.. إلى غير هذه الخواطر التي تحول بينك وبين النجاح في تصفية القلب.

ولذلك: انتبه جيداً إليها، ولا تتأثر بها، وكن مع الشاعر الحكيم في قوله:

إني بليت بأربع يرمينني بالنَّبْل عن قوس لها توتير

إبليس والدنيا ونفسي والهوى يا رب أنت على الخلاص قدير

وعلى ذلك: فكلما نزعت نفسك إلى شئ من هذه الأمور السيئة، التي تسكن القلب، وتحول بينه وبين رضوان الله سبحانه، أو نزغ الشيطان بسمومه في صدرك.. فعالج نفسك بما يفهم من قوله تعالى ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ [الشمس:٧-١٠]

وأطرد الشيطان عنك عملاً بقوله تعالى ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [فصلت:٣٦].

المطلب السادس

التهيؤ للبقاع الطاهرة

عليك .. ضرورة العلم – قبل السفر – بأنك ذاهب إلى بقاع طاهرة، بها مهبط الوحى من السماء، ومنبع الرسالة،وبها مكة والمدينة اللتين هما أشرف بلاد الله

أما مكة المكرمة ففضلها معروف منذ العصور الأولى فى التاريخ، من لدن آدم عليه السلام، وبالأخص بعد أبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام، حيث بنى الكعبة – بيت الله – فيها، وأذَّن فى الناس بالحج فأتوا مكة من كل فج عميق..

وإن من ينظر فى أشهر الحج إلى مكة يأتيها الناس أفواجًا أفواجا يوميًا، ليلاً ونهاراً، وقد علت أصواتهم بالدعاء والتضرع حين دخولهم إليها، بل فى كل نواحيهاوشوارعها، وهم محرمون: آمن بعظمة الله تعالى، وعرف فضل مكة على سائر البلدان، خاصة وأن هذا الحال لا توجد فى جميع أنحاء المعمورة سوى مكة، وفى كل عام.. إلى قيام الساعة.

بل لا ينقطع الطواف حول بيت الله لحظة من ليل أو نهار، ولذلك: يقول العلماء[1] إن مكة تمتاز على سائر البلدان – إلى جانب ما ذكرنا – بعدة أشياء، منها:

---

(١) محمد طاهر الكردى.. كتاب التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ١/ ٣٠٧

١ - أنها مهبط الوحى، ومركز نزول القرآن، وابتداء ظهور الإسلام.

٢ - أن القادم إليها يجب عليه التجرد من ثيابه، ودخولها بنية الإحرام بحج أو عمرة.

٣ - أنه ليس فيها إلا دين واحد، وهو الإسلام، فليس فيها دينان، ولا يدخلها غير مسلم.

٤ - أنها بلد تضاعف فيها الحسنات، وبالأخص الصلوات، ففى الحديث الشريف «صلاة فى مسجدى هذا: أفضل من ألف صلاة فى غيره من المساجد إلا المسجد الحرام.. والصلاة فى المسجد الحرام: أفضل من الصلاة فى مسجدى هذا بمائة ألف صلاة».

٥ - أنه يبعث من مقبرتها سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب، يشفع كل واحد منهم فى سبعين ألفا، وجوههم كالقمر ليلة البدر.

٦ - أن الدجال سيطأ جميع البلدان - حين خروجه آخر الزمان - إلا مكة والمدينة وبيت المقدس.

٧ - أنه ما من نبى من الأنبياء كذبه قومه.. إلا وخرج إلى مكة، يعبد الله حتى يأتيه اليقين.

ولذلك:

فحول الكعبة: قبر ثلاثمائة نبى من أنبياء الله. وما بين الركن اليمانى وركن الحجر الأسود: قبر سبعين نبيًا وقبر إسماعيل عليه السلام، وأمه هاجر: فى الحِجْر، تحت «الميزاب».

وما بين زمزم ومقام ابراهيم عليه السلام: قبر نوح، وهود وشعيب وصالح، عليهم جميعًا صلوات الله وسلامة.

٨ - وأن أهل مكة: يتجهون فى صلاتهم إلى الكعبة من جميع الجهات الأربعة، بخلاف أهل بلدان العالم كله.. إذ كل بلدة يتجه أهلها إلى الكعبة من جهة واحدة.

ولذلك.. فما أبهج منظر المسجد الحرام-حين الصلاة، حيث يصلى الجميع حول الكعبة من جميع الجهات على إتساعه.

ولا يوجد منظر يأخذ بمجامع القلوب، وبشرح الصدور، ويذهب الهم والغم، ويجلب السرور.. كالصلاة فى المسجد الحرام، والجلوس حول الكعبة المشرفة.

٩ - وكفى أنها: بلد الله، وبلد رسوله ﷺ، وبلد أصحابه المهاجرين الكرام، ومأوى الأنبياء والمرسلين والأتقياء والصالحين، وقبلة جميع المؤمنين.

وقد ذكرت فى القرآن الكريم فى آيات عديدة، لا يتسع المقام لذكرها.

ويقول الحسن البصرى: ما أعلم اليوم على وجه الأرض بلدة ترفع فيها من الحسنات وأنواع البر، كل واحدة منها بمائة ألف سوى مكة بلد الله الحرام.. وما أعلم أنه ينزل فى الدنيا كل يوم رائحة الجنة وروحها ما ينزل بمكة.

١٠ - وفيها الحجر الأسود:

ويقال له «الركن» باعتبار أنه موضوع فى الركن الأهم من البيت الحرام، وهو الركن الذى يبتدىء الطواف منه، وهو الركن الشرقى، وأمره يرجع إلى عهد ابراهيم الخليل، عليه الصلاة والسلام، فإنه لما كان يبنى البيت المعظم وابنه إسماعيل ينقل له الحجارة على رقبته ويناوله ووصل إلى موضع الركن الأسود. قال إبراهيم لإسماعيل: أبغنى حجراً أضعه هاهنا يكون للناس علماً يبتدؤن منه الطواف، فذهب إسماعيل يطلب له حجراً ورجع وقد جاءه جبريل بالحجر الأسود، وكان الله عز وجل استودع الركن أبا قبيس حين أغرق الله الأرض زمن نوح، وقال إذا رأيت خليلى يبنى بيتى فأخرجه له، فقال إسماعيل يا أبى من أين لك هذا؟ قال: جاءنى به من لم يكلنى إلى حجرك جاء به جبريل، فلما وضع جبريل الحجر فى مكانه بنى عليه وهو حينئذ يتلألأ تلألؤاً من شدة بياضه، فأضاء نوره شرقًا وغربًا، ويمنًا وشامًا، فكان نوره يضئ إلى منتهى أنصاب الحرم من كل ناحية من نواحى الحرم.

ولقد ورد فى نزول الركن من الجنة بعض أحاديث نسردها هنا وهى:

روى الترمذى وأحمد والحاكم وابن حبان أن رسول الله ﷺ قال: **«إن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله تعالى نورهما ولو لم يطمس نورهما لاضاءتا ما بين المشرق والمغرب»**.

وروى الامام أحمد عن أنس بن مالك والنساء عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال: «الحجر الأسود من الجنة».

وروى أحمد وغيره: «الحجر الأسود من الجنة وكان أشد بياضًا من الثلج حتى سودته خطايا أهل الشرك».

وروى الطبرانى فى معجمه الكبير عن ابن عباس «الحجر الأسود من حجارة الجنة وما فى الأرض من الجنة غيره وكان أبيض كالماء ولولا ما مسه من رجس الجاهلية ما مسه ذو عاهة إلا برىء».

وروى ابن خزيمة فى صحيحه عن ابن عباس «الحجر الأسود ياقتوتة بيضاء من ياقوت الجنة وإنما سودته خطايا المشركين يبعث يوم القيامة مثل أحد يشهد لمن استلمه وقبله من أهل الدنيا».

وجاء فى تاريخ الأزرقى عن سعيد بن حبير عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال: «إن الله عز وجل يبعث الركن الأسود له عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق.

وجاء فيه أيضًا: عن عبد الملك بن جريح عن أبيه إنه قال: كان سلمان الفارسى قاعدًا بين الركن وزمزم والناس يزدحمون على الركن فقال لجلسائه: هل تدرون ما هو؟ قالوا هذا الحجر، قال قد أرى.. ولكنه من حجارة الجنة أما والذى نفس سلمان بيده ليجيئن يوم القيامة له عينان ولسان وشفتان يشهد لمن استلمه بالحق (١).

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: فى قوله تعالى ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: ٣٧] لو أن إبراهيم عليه السلام قال فى هذا

(١) انظر: محمد طاهر الكردى.. ك التاريخ القويم.. ص ٢٩٤ وما بعدها باختصار.

الدعاء « فاجعل افئدة الناس تهوى إليهم » لإزدحمت عليه اليهود والنصارى، ولكنه خص حين قال (أفئدة من الناس) فكان ذلك للمؤمنين فقط، ولله الحمد والمنة

وأما المدينة.. على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام: فهى التى هاجر إليها الحبيب ﷺ، ومنها قامت الدولة الإسلامية، وفى ربوعها نزل القرآن، وعلى ترابها نشأ رجال الدعوة الذين حملوها فى صدورهم، ونشروها فى العالمين وكانت موضع إقامة النبى ﷺ، وإقامة أصحابه الكبار رضى الله عنهم. وإزدادت شرفًا بموت رسول الله ﷺ فيها، ودفنه بتربتها.

كما دفن فيها بعض أولاد النبى ﷺ، وأكثر زوجاته.

وكذلك: دفن فيها كبار الصحابة الأطهار رضى الله عنهم وفيها يقول الحبيب ﷺ : **« إن الإيمان ليأزر إلى المدينة - أى يأوى فيها ويقيم بها - كما تأزر الحية إلى جحرها »**(١).

كما يقول ﷺ **« ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة »**(٢).

إلى غير ذلك من الفضائل التى تخصها.

* * *

---

(١) البخارى..ك المدينة، مسلم.. ك الإيمان، الترمذى..ك الإيمان، ابن ماجة..ك المناسك، أحمد في المسند.

(٢) البخارى .. ك الرقاق، باب فى الحوض .. إلخ.

أخي المسلم، وأختي المسلمة..!!

بعد أن عرفت ذلك .. أعتقد أن عليك أن تهيئ نفسك لتلقى فضل الله وكرمه فى هذه الرحاب الطاهرة، إضافة إلى البقاع المقدسة، كعرفات، ومنى، ومزدلفة...الخ

وذلك: بكف اللسان عن الخطأ فى القول، والفحش فى الكلام، والغيبة، والنميمة.. وكذلك: غض البصر عما حرم الله، وضبط النفس من الانفعالات الخارجة عن حدود الشرع، وعدم سوء الظن بالآخرين، والتحرز من الحرام، وتحرى الحلال، فى كل شئ بصفة عامة.

وإذا كان هذا واجب المراعاة من المسلم دائمًا، فهو فى هذه الظروف يحتاج إلى مراعاة أشد وأدق، حتى يتقبل منا، ويعفو عنا، ويغفر لنا.

* * *

المطلب السابع

معرفة أن الحج رحلة جهادية تربوية تغييرية

أ - حيث إنه فى الحج: توسيع لأفق المسلم الثقافى، ووصل له بالعالم الكبير من حوله[1]، وقد قالوا: السفر نصف العلم. وفى الأمثال السائرة أن حكيمًا قال: من يعش يرى كثيراً، فقال آخر: لكن من يسافر يرى أكثر.

وفى هذا السفر للحج: تدريب على ركوب المشقات، ومفارقة الأهل والوطن، والتضحية بالراحة والدعة فى الحياة الرتيبة بين الآل والصحاب، ولم تشأ حكمة الله أن تجعل هذه الرحلة إلى بلد مثل «سويسرا» أو «لبنان» أو غيرهما من البلاد الجميلة التى يتخذها الناس مصيفًا أو مشتى. ولكن شاء الله أن يكون الحج إلى واد غير ذى زرع لا يصلح مصيفًا ولا مشتى، وذلك تربية للمسلم على احتمال الشدائد، والصبر على المكاره، ومواجهة الحياة كما فطرها الله بأزهارها وأشواكها، بشهدها وصابها. بحرها وقرها. فهو يلتقى مع الصوم فى إعداد المسلم للجهاد.

وحياة الحاج أشبه بحياة الكشاف فى بساطتها وخشونتها، حياة تنقل وارتحال، واعتماد على النفس، وبعد عن الترف والتكلف والتعقيد، الذى يناسب حياة الخيام فى منى وعرفات.

وقد تجلت هذه الحكمة حين جعل الله الحج دائراً مع السنة القمرية،

---

(١) د. يوسف القرضاوى - العبادة فى الإسلام ص ٢٨٧-٢٩٢.

فأشهر الحج المعلومات تبدأ بشهر شوال ، وتنتهى بذى الحجة، وهى أشهر – كما نعلم – تأتى أحيانًا فى وقدة الصيف وأحيانًا فى زمهرير الشتاء، ليكون المسلم على إستعداد لتحمل كل الأجواء، والاصطبار على كل الوان الصعوبات .

ب – كما أنه فى الحج شحنة روحية كبيرة، يتزود بها المسلم، فتملأ جوانحه خشية وتقى لله، وعزمًا على طاعته، وندمًا على معصيته، وتغذى فيه عاطفة الحب لله ولرسول الله، ولمن عزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه، وتوقظ فيه مشاعر الأخوة لأبناء دينه فى كل مكان؛ وتوقد فى صدره شعلة الحماسة لدينه، والغيرة على حرماته .

إن الأرض المقدسة وما لها من ذكريات، وشعائر الحج وما لها من أثر فى النفس، وقوة الجماعة وما لها من إيحاء فى الفكر والسلوك . . كل هذا يترك أثره واضحًا فى أعماق المسلم، فيعود من رحلته أصفى قلبًا، وأطهر مسلكًا، وأقوى عزيمة على الخير، وأصلب عوداً أمام مغريات الشر . . وكلما كان حجه مبروراً خالصًا لله كان أثره فى حياته المستقبلة يقينًا لا ريب فيه، فإن هذه الشحنة الروحية العاطفية، تهز كيانه المعنوى هزاً، بل تنشئه خلقًا آخر، وتعيده كأنما هو مولود جديد يستقبل الحياة وكله طهر ونقاء، ومن هنا قال الرسول ﷺ : **« من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه »**[2] .

ج – والحج تدريب عملى للمسلم على المبادئ الإنسانية العليا التى

---

(١) سورة الحج : ٢٧، ٢٨ .

(٢) رواة البخارى وأحمد والنسائى

جاء بها الإسلام، فقد أراد الإسلام ألا تكون مبادئه وقيمه الاجتماعية مجرد شعارات أو نداءات، بل ربطها بعباداته، وشعائره ربطًا وثيقًا، حتى تخط مجراها فى عقل المسلم وقلبه فهمًا وشعوراً، ثم تخط مجراها فى حياته سلوكًا وتطبيقًا.

وقد رأينا فى صلاة الجماعة كيف تنمى معانى الاخوة والمساواة والحرية.

وهنا فى الحج نرى معنى المساواة فى أجلى صورة وأتمها، فالجميع قد اطرحوا الملابس والأزياء المزخرفة التى تختلف باختلاف الأقطار، واختلاف الطبقات، واختلاف القدرات، واختلاف الأذواق، ولبسوا جميعًا ذلك اللباس البسيط - الذى هو أشبه ما يكون بأكفان الموتى - يلبسه الملك والأمير، كما يلبسه المسكين والفقير، وإنهم ليطوفون بالبيت جميعًا فلا تفرق بين من يملك القناطير المقنطرة، ومن لا يملك قوت يومه، ويقفون فى عرفات ألوفًا ألوفًا، فلا تحس بفقر فقير، ولا غنى غنى، ولا تحس حين تراهم فى ثيابهم البيض وفى موقفهم المزدحم العظيم إلا أنهم أشبه بالناس فى ساحة العرض الأكبر، يوم يخرجون من الأجداث إلى ربهم ينسلون.

ولقد كانت قريش فى الجاهلية ترى لنفسها فضلاً على سائر العرب، فتترفع عن الوقوف معهم فى عرفات وتقف فى مزدلفة، فأبطل الإسلام هذه العادة، وقال تعالى بعد أن ذكر بعض أعمال الحج: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩] كأنه يقول: «بعد ما تبين لكم ما تقدم كله من أعمال الحج، وليس فيها امتياز أحد على أحد، ولا قبيل على قبيل، وعلمتم أن المساواة وترك التفاخر من مقاصد هذه العبادة بقى شئ

آخر. وهو أن تلك العادة المميزة لا وجه لها، فعليكم أن تفيضوا مع الناس من مكان واحد »[١].

ولما كانوا فى الجاهلية يتخذون من موسم الحج مجالاً للتفاخر بالأنساب والآباء، وقف النبى يخطبهم فى أواسط أيام التشريق ويعلنهم بمبدأ الإسلام العالمى: «**يا أيها الناس، إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربى على عجمى، ولا لعجمى على عربى، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى. أبلَّغتُ: قالوا : بلغ رسول الله ﷺ** »[٢].

د – وفى الحج نرى معنى الوحدة جليًا كالشمس: وحدة المشاعر، ووحدة فى الشعائر، ووحدة فى الهدف، ووحدة فى العمل، ووحدة فى القول.. لا إقليمية ولا عنصرية، ولا عصبية للون أو جنس أو طبقة، إنما هم جميعًا مسلمون، برب واحد يؤمنون ، وببيت واحد يطوفون، ولكتاب واحد يقرأون، ولرسول واحد يتبعون، ولأعمال واحدة يؤدون، فأى وحدة أعمق من هذه وأبعد غورًا؟[٣]

هـ – ومن المبادئ التى سبق الإسلام بالدعوة إليها: السلام.

والحج طريقة فذة لتدريب المسلم على السلام، وإشرابه روح السلام، فهو رحلة سلام إلى أرض سلام، فى زمن سلام.

أرض الحج هى البلد الحرام والبيت الحرام الذى جعله الله مثابة للناس وأمنًا ﴿ **وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا** ﴾ [آل عمران:٩٧] والذى قال فيه عمر: لو وجدت فيه قاتل أبى ما مسته يدى.

(١) من تفسير الآية فى المنار.

(٢) رواه أحمد.

(٣) د. يوسف القرضاوى.. مصدر سابق

إنها منطقة أمان فريد فى نوعه، شمل الطير فى الجو، والصيد فى البر، والنبات فى الأرض. فهذه المنطقة لايصاد صيدها ولا يروع طيرها ولا حيوانها، ولا يقطع شجرها ولا حشائشها!!

ومعظم أعمال الحج: يقع فى شهرين (ذى القعدة وذى الحجة) من الأشهر الحرم، التى جعلها الله هدنة إجبارية تغمد فيها السيوف، وتحقن فيها الدماء، ويوقف القتال ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ ﴾ [المائدة: ٩٧] .

والمسلم حين يحرم بالحج: يظل فترة إحرامه فى سلام حقيقى، مع من حوله وما حوله، فلا يجوز له أن يقطع نباتًا أو يعضد شجرة، كما لا يجوز له أن يذبح حيوانًا صاده غيره له، أو يرمى هو صيداً فى الحرم، أو خارجه قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ﴾ [المائدة: ٩٥]، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ﴾ [المائدة: ٩٦].

بل لا يجوز للمحرم أن يحلق شعر نفسه أو يقص ظفره، حتى يتحلل من إحرامه فيقص ويحلق أو يقصر.

فهل رأت الدنيا تطبيقًا عمليًا للسلام وتدريبًا عليه كهذا الذى صنعه الإسلام فى رحلة الحج: رحلة السلام إلى أرض السلام، فى زمن السلام؟![1]

* * *

(١) د. يوسف القرضاوى .. مصدر سابق

المطلب الثامن

تلمس الحكم والأسرار

على المسلم: تلمس الحكم والأسرار - قدر الإمكان في مناسك الحج - حيث إنه علينا أن نفهم كثيراً من أسرار مناسك الحج وأعماله.

« فما الإحرام في حقيقته: وهو أول المناسك، إلا التجرد من شهوات النفس والهوى، وحبسها عن كل ما سوى الله، وعلى التفكير في جلاله.

وما التلبية: إلا شهادة على النفس بهذا التجرد، وبالتزام الطاعة والامتثال.

وما الطواف بعد التجرد: إلا دوران القلب حول قدسية الله، صنع المحب الهائم مع المحبوب المنعم، الذى ترى نعمه، ولا تدرك ذاته.

وما السعى بعد هذا الطواف: إلا التردد بين علمي الرحمة التماسًا للمغفرة والرضوان.

وما الوقوف بعد السعى: إلا بذل المهج في الضراعة بقلوب مملوءة بالخشية، وأيد مرفوعة بالرجاء، وألسنة مشغولة بالدعاء، وآمال صادقة في أرحم الراحمين..

وما الرمى بعد هذه الخطوات التى تشرق بها على القلوب أنوار ربها: إلا رمز مقت واحتقار لعوامل الشر، ونزغات النفس، وإلا رمز مادى لصدق العزيمة في طرد الهود المفسد للأفراد والجماعات.

وما الذبح، وهو الخاتمة فى درج الترقى إلى مكانة الطهر والصفاء: إلا إراقة دم الرذيلة بيد اشتد ساعدها فى بناء الفضيلة، ورمز للتضحية والفداء على مشهد من جند الله الأطهار الأبرار » [١].

وأعلم أخى المسلم أنه لا ضير على الإسلام أن يبقى الصالح من تقاليد العرب وشرائعهم التى ورثوها من دين إبراهيم. وهو بهذا يصل بين القديم والجديد فى تاريخ الإيمان، ويقرر وحدة الدين عند الله.

يقول صاحب مجلة « الشهاب »[٢] رحمه الله :

« وينتهز بعض الذين لا يعلمون الحكمة البالغة، والنظرة السامية فى هذا التشريع الحكيم - هذه الفرصة، فيغمزون الإسلام بأنه لا زال متأثراً ببقية من وثنية العرب، وأن الكعبة والطواف من حولها، والحجر الأسود واستلامه، وما يحيط بذلك من معانى التقديس والتكريم، إن هو إلا مظهر من مظاهر هذا التأثر.

وهذا القول بعيد عن الصحة، عار عن الصواب، فالمسلم الذى يطوف بالكعبة أو يستلم الحجر، يعتقد اعتقاداً جازماً أنها جميعاً أحجار لا تضر ولا تنفع، ولكنه إنما يقدس فيها هذا المعنى الرمزى البديع، معنى الإخوة الإنسانية الشاملة، والوحدة العالمية الجامعة، ويذكر فى ذلك قول الله العلى الكبير: ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ ﴾ [المائدة: ٩٧].

« والرمزية هى اللغة الوحيدة لتمثيل المعانى الدقيقة، والمشاعر النبيلة، التى لا يمكن أن تصورها الألفاظ، أو تجلوها العبارات.

---

(١) د. القرضاوى - العبادة فى الإسلام ص ٢٨٤-٢٨٦ (بتصرف)

(٢) العدد الثالث ص ٥١ من مقال للشهيد حسن البنا

والذى يعظم علم وطنه يعلم أنه فى ذاته قطعة نسيج لا قيمة لها ماديًا ولكنه يشعر كذلك أنها ترمز إلى كل معانى المجد والسمو التى يعتز بها وطنه، وأنها تصور أدق المشاعر فى وطنيته.. فهو يحيى هذا العلم ويعظمه ويحترمه ويكرمه لهذه المعانى التى تجمعت جميعًا وتمثلت فيه.

والكعبة المشرفة علم الله المركوز فى أرضه، ليمثل به الناس أوضح معانى أخوتهم، وليرمز به إلى أقدس مظاهر وحدتهم، وإنما كانت بناء ليكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا، ومن أجمل الجميل أن يقوم على رفع هذا البناء إبراهيم الخليل أبو الأنبياء.

« وما الحجر الأسود: إلا موضع الابتداء ونقطة التميز فى هذا البناء، وعنده تكون البيعة لرب الأرض والسماء.. على الإيمان والتصديق والعمل والوفاء: « اللهم إيمانًا بك - لا بالحجر - وتصديقًا بكتابك - لا بالخرافة - ووفاء بعهدك - وهو التوحيد الخالص لا الشرك - واتباعًا لسنة نبيك ﷺ محطم الأصنام.

« فأين هذه المعانى الرمزية العلوية، من تلك المظاهر الوثنية الخرافية؟ إن الكعبة المشرفة رمز قائم خالد. ركز الإسلام من حوله أخلد وأقدس وأسمى معانى الإنسانية العالمية، والأخوة بين البشر جميعًا ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ [البقرة: ١٢٥].

* * *

المطلب التاسع

معرفة بعض منافع الحج

إعلم أن المقصد الأول من العبادات هو الامتثال لله والوفاء بحقه تعالى، ومع هذا لا ننكر أن وراء العبادات آثاراً طيبة ومنافع جمة، فى حياة الفرد والجماعة(١).

والحج هو أكثر العبادات الإسلامية إشتمالاً على الأمور التعبدية – التى لا تُعْرَف حكمتها معرفة تفصيلية على وجه التأكيد – ولكن لعله أيضًا أوضح هذه العبادات أثرًا فى حياة المسلمين أفرادًا وشعوبًا، وكيف لا وقد قال الله ﴿ **وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ..** ﴾ [الحج: ٢٧، ٢٨].

إن هذا التعليل القرآنى لهذه الرحلة المباركة التى يقطعها الناس ركبانًا ومشاة قادمين من كل فج عميق، يفتح لنا بابًا رحبًا للتأمل فى هذه المنافع المشهودة التى قدمها القرآن على ذكر اسم الله.

وقد بينا فى المطلب السابق : منافع الحج المعنوية.

ونذكر هنا بعض منافعه المادية التى أنعم الله بها علينا:

إذ الحج من الجانب المادى: فرصة متاحة لتبادل المنافع التجارية على نطاق واسع بين المسلمين.

---

(١) المصدر السابق

وقد كان بعض المسلمين فى زمن الرسول ﷺ يتحاشون التجارة فى أيام الحج ويتحرَّجون من كل عمل دنيوى يجلب لهم ربحًا أو يدر عليهم رزقًا، خشية أن ينال ذلك من عبادتهم ، أو يحط من مثوبتهم عند الله عز وجل، فأجاز الله الكريم لهم ذلك، ما دامت النية خالصة، والمقصود الأصلى هو الحج، ولكل امرئ ما نوى.

روى البخارى عن ابن عباس قال: كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقًا فى الجاهلية، فتأثموا – أى تحرجوا – أن يتجروا فى الموسم – أى موسم الحج – فسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فنزلت الآية ﴿ **لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ** ﴾ [البقرة: ١٩٨].

قال فى تفسير المنار: «كان بعض المشركين وبعض المسلمين يتأثمون فى أيام الحج من كل عمل حتى كانوا يقفلون حوانيتهم، فعلمهم الله تعالى أن الكسب طلب فضل من الله لا جناح فيه مع الإخلاص، وقوله تعالى «من ربكم» يشعر بأن ابتغاء الرزق مع ملاحظة أنه فضل من الله تعالى نوع من أنواع العبادة. وروى أن عمر قال لسائل فى هذا المقام: وهل كنا نعيش إلا على التجارة؟.

* * *

المطلب العاشر

الإنتفاع بهذا المؤتمر السنوى العالمى الكبير

والحج: يتيح للمسلم أن يشهد أعظم مؤتمر سنوى إسلامى، مؤتمر لم يدع إليه ملك أو رئيس أو حكومة أو هيئة، بل دعا إليه الله العلى الكبير الذى فرض إقامته كل عام على المسلمين(١).

فهناك يجد المسلم إخوانًا له من قارات الدنيا الخمس.. اختلفت أقاليمهم وإختلفت ألوانهم، واختلفت لغاتهم، وجمعتهم رابطة الإيمان والإسلام، ينشدون نشيداً واحداً: «لبيك اللهم لبيك».

إن هذا المؤتمر: له أكثر من معنى، وأكثر من إيحاء، إنه يحيى فى المسلم الأمل، ويطرد عوامل اليأس، ويبعث الهمة، ويشحذ العزم، حيث إن التجمع يوحى دائمًا بالقوة، ويوقظ الآمال الغافية، والذئب إنما يأكل من الغنم الشاردة.

إن هذا المؤتمر: أعظم مذكر للمسلم بحق أخيه المسلم، وإن تباعدت الديار، وأعظم مذكر بأخوة الإسلام، ورابطة الإيمان، هذا المؤتمر هو «الفرن العالى» الذى تذوب فى حرارته النزعات القومية والوطنية، وتختفى فيه كل الشعارات والجنسيات إلا شعاراً واحداً ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

---

(١) المصدر السابق

في هذا المؤتمر: يلتقى رجال العلم، ورجال الإصلاح، ورجال السياسة، فما أجدرهم - وقد التقوا على هدف واحد - أن يتعارفوا ويتفاهموا ويتعاونوا على تدبير أفضل الخطط، وأحسن الوسائل، ليبلغوا الأهداف ويحققوا الآمال.

ولقد نبهنا الرسول الكريم إلى قيمة هذا المؤتمر حين اتخذ منه منبراً لإذاعة أهم القرارات والبلاغات التى تتصل بالسياسة العامة للمسلمين.

ففى أول سنة حج فيها المسلمون تحت إمارة أبى بكر، بعث النبى وراءه عليًا ليعلن على الناس إلغاء المعاهدات التى كانت بينه وبين المشركين الناكثين، وأن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان.

وفى السنة التالية التى حج فيها الرسول الله ﷺ بنفسه أعلن فيها على الجمهور خطبة «البلاغ» أو «الوداع» التى لخص فيها أهم مبادئ الإسلام ودستور الإسلام.

ولقد عرف علماء الإسلام قيمة هذا المؤتمر.. فاتخذوا منه فرصة، لتبادل الآراء، وتعارف الأفكار، ورواية الأحاديث والأخبار.

كما عرف الخلفاء قيمة هذا الموسم العالمى.. فجعلوا منه ساحة لقاء بينهم وبين أبناء الشعب القادمين من كل فج عميق، وبينهم وبين ولاتهم فى الأقاليم، فمن كانت له من الناس مظلمة أو شكاية فليتقدم بها إلى الخليفة ذاته بلا وساطة ولا حجاب، وهناك يواجه الشعب الوالى أمام الخليفة بلا تهيب ولا تحفظ، فيغاث الملهوف ، وينصف المظلوم، ويرد الحق إلى أهله، ولو كان هذا الحق عند الوالى أو الخليفة !!

كتب عثمان بن عفان أمير المؤمنين وخليفتهم إلى جميع الأمصار الإسلامية كتابًا قال فيه:

«إنى آخذ عمالى - أى ولاتى - بموافاتى فى كل موسم، وقد سلطت الأمة على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فلا يرفع على شئ ولا على أحد من عمالى إلا أعطيته، وليس لى ولا لعمالى حق قبل الرعية إلا متروك لهم، وقد رفع إلىَّ أهلُ المدينة أن أقوامًا يشتمون ويضربون.. فمن ادعى شيئًا من ذلك فليواف الموسم، يأخذ حقه حيث كان، منى أو من عمالى، أو تصدقوا إن الله يجزى المتصدقين».

ومما ينبغى أن نذكره هنا: أن هذا المؤتمر لم يكن فرصة للمسلمين وحدهم للتظلم من ولاتهم وطلب حقوقهم، بل وجد فيه غير المسلمين - ممن يعيشون فى ظل دولة الإسلام - هذا المعنى وتلك الفرصة.

وكلنا يعلم قصة ابن القبطى الذى سابق ابن والى مصر وفاتحها عمرو ابن العاص فسبق القبطى، فضربه ابن عمرو فأنهى أبوه مظلمته إلى عمر، فاقتصه منه فى موسم الحج على مرأى ومسمع من ألوف الحجيج، ثم قال للوالى عمرو كلمته الشهيرة أمام شهود المؤتمر الكبير: يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟!

فلا عجب أن كانت هذه العبادة «الحج» قذى أعين الكثيرين من خصوم الإسلام فيشهرون أقلامهم لتشويهه أو الطعن فيه، ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

من سنوات كتب أحد المبشرين النصارى فى تقرير له عن مدى جدوى التبشير فى بلادنا الإسلامية وخاصة فى مصر فكان مما قال فيه: «سيظل

الإسلام صخرة عاتية تتحطم عليها سفن التبشير المسيحى ما دام للإسلام هذه الدعائم الأربع: القرآن .. والأزهر.. واجتماع الجمعة الأسبوعى .. ومؤتمر الحج السنوى».

وإن هذه الأربعة لباقية بإذن الله ما بقى هذا الإنسان على تلك الكرة، وليمت من شاء بغيظه !!

على أن المسلمين – للأسف – لا يستفيدون من هذا المؤتمر العظيم كما ينبغى، ولعلهم قد بدأوا يفيقون.

هذا..

وفى الأجانب من شهد بفضل هذه الشعيرة الإسلامية العظيمة، وأشاد بما لها من مآثر وآثار فى النفس والحياة.

ومن هؤلاء الأستاذة الإيطالية الدكتور فاغليرى فى كتابها الذى ترجم بعنوان «دفاع عن الإسلام» قالت فيه عن الحج: «على كل مسلم، إذا توفرت فيه بعض الشروط إن يقوم بالحج إلى مكة مرة واحدة فى حياته على الأقل، ومن طبيعة القوى العميقة المكنونة فى هذه الشعيرة أن يعجز العقل البشرى عن اعتناقها إلا فى القليل النادر، ومع ذلك فإن ما يمكن إستيعابه من تلك القوى، فى سهولة ويسر، يتكشف عن حكمة كاملة، فليس فى إستطاعة أحد أن ينكر الفائدة التى يجنيها الإسلام من إجتماع المسلمين السنوى فى مكان واحد يسعون إليه من مختلف أرجاء العالم.

إن العرب، والفرس، والأفغان، والهنود، وأبناء شبه جزيرة الملايو، وأبناء المغرب، والسودان، وغيرهم، كلهم يتوجهون نحو الكعبة المقدسة لمجرد

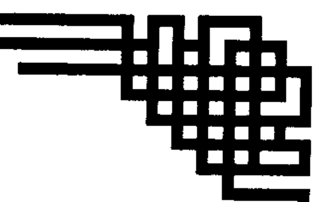
التماس الغفران من الله الرحمن الرحيم، وهم إذ يلتقون فى مثل ذلك المكان لمثل هذا الغرض إنما ينشئون صلات جديدة من المحبة والإخوة.

مرة واحدة فى حياة المسلم على الأقل تلغى الفروق كافة بين الفقير والغنى، بين الشحاذ والأمير، إلغاء تماماً.

ذلك أن كل حاج مسلم يلبس خلال أداء تلك الفريضة المقدسة، الثياب البسيطة نفسها ، ويخلف وراءه حلله الشخصية، ويتخذ لنفسه شعاراً واحداً ليس غير، هو كلمة (الله أكبر !) . والشعائر التى يتعين على الحجاج أداؤها، من مثل الطواف ببيت الله (الكعبة) توقظ فى نفسه ذكرى الأنبياء والآباء العظام الذين عاشوا فى المواطن نفسها خلال العصور السالفة. إنها تعيد إلى الحياة أعمال إبراهيم، مؤسس الدين الخالص، وأعمال ابنه إسماعيل وزوجته هاجر، وهى توقظ فى الحاج النزعة إلى تقليدهم فى تعاطفهم وفى خضوعهم لمشيئة الله »[١].

* * *

(١) المصدر السابق



الفصل الثانى

ذكريات غالية

* تمهيد
* الذكرى الأولى: ذكرى أبينا آدم عليه السلام.
* الذكرى الثانية: هجرة إبراهيم الأولى إلى مكة.
* الذكرى الثالثة : هرولة هاجر بين الصفا والمروة.
* الذكرى الرابعة: رؤيا إبراهيم عليه السلام
* الذكرى الخامسة: رحلات إبراهيم عليه السلام الى مكة.
* الذكرى السادسة: رفع قواعد البيت.
* الذكرى السابعة : حادثة الفيل
* الذكرى الثامنة : ميلاد محمد ﷺ
* الذكرى التاسعة : سيرة المصطفى ﷺ.
* الذكرى العاشرة : حجة الوداع.

تمهيد

هذه مجموعة من الذكريات العطرة، التى ينبغى أن يعرفها المسلم قبل ذهابة إلى الرحاب الطاهرة، والتى ينبغى عليه أن يعايشها، ويتفيأ ظلالها وهو يتنقل فى هذه البقاع المقدسة، خلال رحلته؛ حتى يتمكن من الإفادة بأكبر قدر ممكن حين أداء هذه الفريضة العظيمة.

* * *

الذكرى الأولى

ذكرى أبينا آدم عليه السلام، وهو يهبط من الجنه إلى الأرض

يقول رب العزة ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٣٦) فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة ٣٥ – ٤٩]

وقصة آدم عليه السلام مذكورة فى آيات كثيرة وسور عديدة من آيات القران الكريم وسوره، وبتفصيلات دقيقة وافية.

ويقول بعض العلماء: إن آدم عاش ألف عام، ثم مات بعد ذلك، ودفن بجبل أبى قبيس » بمكة المكرمة، ولما حضرته الوفاة جاءته الملائكة من السماء بكفن وحنوط من الجنة، وبعد أن غسلوه وكفنوه، حفروا له، وألحدوه، وصلوا عليه، ثم أدخلوه قبره، فوضعوه فيه، ثم حثوا عليه التراب، وقالوا: يا بنى آدم.. هذه سنتكم[١].

ولكن الذى يعنينا هنا أن نستخلص من قصته هذه بعض العظات والعبر، التى نستفيد منها وبها إن شاء الله تعالى .

---

(١) انظر: محمد على الصابونى .. النبوة والأنبياء ص ١٣٠ .

وأهم هذه الفوائد ما يلى[1]:

أولاً: أن الله سبحانه وتعالى قد كرم هذا النوع البشرى، حين خلق آدم بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له الملائكة، وجعله خليفة فى الأرض.. وهذا: تكريم لآدم وذريته .

ثانيًا: أن الله تعال قادر على كل شئ، فقد يجعل من الأمر الحقير أمرًا هامًا وعظيمًا، فقد خلق آدم من تراب ثم جعله بشرا سويًا، وأفاض عليه من أسرار قدرته وبدائع حكمته ما جعله أهلا للاستخلاف في الأرض، كما علمه أسماء كل الأشياء مما عجزت عنه الملائكة الأطهار.

ثالثًا: أن على الإنسان أن يحذر مكائد الشيطان، فقد كان السبب فى خروج أبينا ادم من الجنة، وعداوته قديمة لنامنذ ظهور آدم عليه السلام ﴿ **إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا** ﴾ [فاطر: ٦].

فلا ينبغى أن ننخدع بوساوس إبليس اللعين، فهو حرب علينا إلى يوم الدين.

رابعًا: أن الإنسان مجبول على الخطأ، معرض للنسيان؛ لأنه خلق من ضعف، وما وقعت مخالفة آدم لأمر الله إلا بسبب ذلك الضعف البشرى؛ حيث استجاب لنداء اللعين إبليس، ونسى أمر الله.

خامسًا: على الإنسان ألا يقنط من رحمة الله، ولا ييأس من عفوه فيما إذا وقع فى خطيئة، أو حصلت منه سقطة، أو الم بذنب؛ فقد علمنا الله

---

(١) السابق.

سبحانه كيف نتوب إليه، وكيف نتخلص من الذنوب والآثام ﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة : ٣٧] .

ويروى عن الحسن [١] : أنه لما تاب الله عز وجل على آدم عليه السلام هنأته الملائكة، وهبط عليه جبريل وميكائيل عليهما السلام .

فقالا : يا آدم .. قرت عينك بتوبة الله عليك .. ؟

فقال : يا جبريل .. فإن كان بعد هذه التوبة سؤال .

قال جبريل : ما هو .. ؟

قال : فأين مقامى .. ؟

فأوحى الله تبارك وتعالى إليه : يا آدم .. ورثت ذويك التعب والنصب، وورثتهم التوبة، فمن دعانى منهم لبيته كما لبيتك، ومن سألنى المغفرة لم أبخل عليه؛ لأنى قريب مجيب يا آدم، وأحشر التائبين من القبور مستبشرين ضاحكين، ودعاؤهم مستجاب .

* * *

(١) الإمام الغزالى .. إحياء علوم الدين ٤ / ٧ .

الذكرى الثانية

هجرة إبراهيم الأولى إلى مكة

ذكرى سيدنا إبراهيم عليه السلام فى هجرته الأولى إلى مكة المكرمة، وهو يقول ﴿ **رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ** ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وكان ذلك : حين أخذ إبراهيم عليه السلام زوجه « هاجر » وولدهما إسماعيل عليه السلام، وخرج بهما من أرض « فلسطين » حيث كانوا يعيشون جميعًا مع زوجة الأولى « سارة »، خرج وسار بهما يقطع الصحارى والقفار؛ لأسباب لا يتسع المقام لذكرها[١].

حتى بلغ جبال مكة الجرداء.. فوضعهما فى ذلك المكان القفر، الذى ليس به ساكن ولا سمير، ولم يكن بمكة فى ذلك الوقت أحد، ولم يكن بها دار أو بنيان، تركهما فى ذلك المكان المقفر عند دوحة قرب زمزم، وترك لهما جرابًا (أى كيسًا) فيه تمر، وسقاءً فيه ماء، ثم أراد العودة إلى بلاد فلسطين، فلحقته أم إسماعيل وهى تقول: يا إبراهيم هل تتركنا فى هذا المكان الذى ليس فيه سمير ولا أنيس؟ فجعل لا يلتفت إليها مخافة أن تصدهّ عن تنفيذ أمر الله، وجعلت تكرر القول وهو لا يلتفت فقالت له

---

(١) انظر: كتب التاريخ، ومحمد على الصابونى .. فى « النبوة والأنبياء » ص ١٥٨ وما بعدها.

عند ذلك: «الله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذ لن يضيّعنا الله».

الله أكبر .. إنه الإيمان الذى يصنع الأعاجيب، ويأتى بالغرائب التى تكاد لا تصدّق، فكيف تطمئن نفس إبراهيم إلى أن يترك وليده الرضيع مع أمه فى مكان موحش قفر، ليس به ساكن ولا سمير ولا أنيس!!

وكيف رضيت (هاجر) أن تبقى وحيدة فريدة فى بقعة جرداء، ليس فيها طعام ولا ماء، وتتعرّض للجوع القاتل، والعطش المميت، والذئاب الموحضة الضارية؟! إنه الإيمان الذى عمر قلب إبراهيم وزوجه هاجر، حتى ضحيًا براحتهما فى سبيل تنفيذ أمر الله.

ولمّا ابتعد إبراهيم عن زوجه وولده قليلاً التفت جهة البيت ووقف يدعو بهذه الدعوات: ﴿ **رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ** ﴾ [إبراهيم ٣٧]

أن من يتدبر فى الآيات الواردة فى دعاء الخليل الله إبراهيم، عليه السلام[١].

يفهم من قوله ﴿ **رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي** ﴾، أن إبراهيم عليه السلام هو الذى عمر مكة شرفها الله تعالى، باسكان بعض ذريته فيها امتثالا لأمره سبحانه وتعالى، لا أنه أتى بهم للسياحة والنزهة، فبلدة ليس بها أنيس ولا ماء ولا شجر، لا يأتى الإنسان إليها للفسحة والاستروواح من بلاد الشام العامرة بالفواكه والثمار والخضرة والأنهار.

---

(١) محمد طاهر الكرى .. كتاب التاريخ القديم لمكة وبيت الله الكريم ص ٨ – ١٠.

كـمـا يفـهـم من قـوله : ، انه اسكن بعـضـهـم بمكة ﴿مِن ذُرِّيَّتِي﴾ ، وأمـا البعض الآخر، فقد بقوا في بلدتهم الاصلية ولم يحضروا معه إلى مكة، لأنه عليه السلام، احضر إلى مكة ابنه أسماعيل مع أمه هاجر فقط تنفيذاً لرغبة زوجته سارة، وامتثالاً لأمر الله الذى أمره بالهجرة إلى مكة معهما.

ويفهم صراحة من قوله : ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ أن مكة كلها كانت قفرا لا نبات فيها ولا ماء، فليس المراد بالوادى هو مجرى السيل من شارع القشاشية الذى بقرب المسجد الحرام فقط، كما يفهمه بعضهم، بل المراد مكة كلها من جميع الأطرف كما لا يخفى على المتأمل، والله تعالى أعلم.

فإبراهيم عليه الصلاة والسلام هو أول من اطلق على مكة كلمة « وادى »كما هو صريح فى هذه الآية : ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ فنسبة وادى إبراهيم إليه نسبة تشريف، فإن هو أول من أتى إليه واسكن بعض ذريته فيه.

ومعنى قوله : ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ اى فى بدء الأمر، وأصل الخلقة فى عهد إبراهيم ومن قبل عهده، فلا محل للاعتراض أن وجد فيما بعد ماء وزرع بالانبات، وأيصال الماء إليه وحفر الآبار، لأن وجود البشر والسكان فى الوادى، يقتضى اشغال الايدى العاملة بعمارته بالماء والزرع والبنيان، كما هو سنة الله فى خلقه.

وبهذا المعنى ينتفى اشكال من يقول : كيف يقول بواد غير ذى زرع، بينما مكة اليوم ولله الحمد فيها الزروع والبساتين.

وأيضاً يمكن أن نقول : إذا قسنا اليوم ما يوجد بمكة من البساتين

والزروع، إلى ما يوجد بمصر والشام وغيرهما من الزروع والانهار والبساتين والثمار، لوجدنا أن ما هو بمكة شئ قليل ونسبة ضيئلة لا تذكر فى جانب ما هو فى الخارج، والقليل لا حكم له، فكأن مكة ليست بذات زروع وثمار.

ويفهم من قوله: ﴿عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ﴾، انه سبحانه وتعالى، قد أعلمه بمكان بيته الحرام بمكة قبل أن يأمره ببنائه، ليطمئن قلبه عند تركه اسماعيل وامه بها أن لهما مستقبلا سعيداً، وشأناً عظيماً فيما بعد.

وقوله: ﴿لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ﴾ أى انى أسكنت من ذريتى عند بيتك المحرم ليعبدوك بأقامة الصلوات وحج البيت وأنواع البر والعبادات، فالصلاة والصيام والحج من العبادات التى كانت من قبل الإسلام، واقامتها بهذه الكيفية من خصوصيات هذه الأمة المرحومة.

وقوله: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ هذه عبارة بديعة وجملة لطيفة، فإنه لما ترك إبراهيم عليه السلام، ولده اسماعيل وامه هاجر بمكة لا أنيس لديهما، أحب أن يرسل الله إليهما من خيار الناس وافاضلهم ليأتنسا بهم وينسيا غربتهم، فتذهب وحشتهم، وبالفعل فقد ارسل الله لاسماعيل عليه السلام وأمه هاجر عندما نبع لهما زمزم طائفة من اخيار قبيلة جرهم، استأذنوا هاجر فى النزول عندها، والإقامة معها واسماعيل كان صغيراً، فقالوا لها: اشركينا فى مائك نشركك فى ألباننا، فأذنت لهم، فأقاموا عندها واحبوا اسماعيل حتى زوجوه بأمرأة منهم.

ويؤخذ من قوله: ﴿مِّنَ النَّاسِ﴾ المقصود طائفة منهم لا كلهم، فكلمة

« من » للتبعيض أى بعضهم – ولذلك قال ابن عباس، رضى الله عنهما : لو قال أفئدة الناس، لحنت إليه فارس والروم والناس كلهم.

وقوله: ﴿ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ : هذا منتهى الرحمة ومنتهى العناية والرأفة بأهله، ﷺ وأولاده، فإنه قد ترك إسماعيل وأمه، بشئ من التمر وقليل من الماء فى مكان قفر لا نبات فيه ولاماء، ولا بشر، وهم لابد وأن يحصلوا على قوتهم من اللحم واللبن والثمرات، فدعا لهم بكل ذلك.

فالثمرات، وان كانت ليس من القوت الضرورى، فهى تفيد الإنسان فائدة كبرى كما لا يخفى، فاراد إبراهيم، عليه السلام، أن ينعم الله عليهم بالكماليات من الفواكه، كما ينعم عليهم بالقوت الاساسى، فدعا الله لهم ان يرزقهم من الثمرات ليتفكهوا بها، ثم دعا لهم ثانيًا حينما أتى من الشام لزيارتهم بالبركة فى اللحم والماء، فببركة دعائه، ﷺ، صارت مكة عامرة بكل شئ، ممتلئة بالارزاق والثمار فى كل وقت من الأوقات، وفاءً لما وعد الله به أهل هذا البلد الآمن بقوله : « يجبى إليه ثمرات كل شئ رزقًا من لدنا » – فالحمد لله رب العالمين.

وأما قوله: **« ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن وما يخفى على الله من شئ فى الأرض ولا فى السماء »**، فيفهم منه أنه، ﷺ، كان يحمل فى قلبه لوعة فراق زوجته وولده، ويحمل همهما وما سيؤول إليه امرهما وقد تركهما فى صحراء، ليس عندهما قريب ولا غريب، امتثالا لأمر الله سبحانه وتعالى. لكنه، ﷺ، لا يريد أن يفصح بلسانه عما فى قلبه، وذلك من

كمال الإيمان والتفويض ونهاية الاستسلام والخضوع لله الواحد القاهر - وهذا من قبيل: **«تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك»**. ومن قبيل: **«انما اشكو بثى وحزنى إلى الله»**.

فقوله: **«ربنا إنك تعلم ما نخفى وما نعلن»**، هو عرض الحال إلى الله عز وجل، بلطيف الإشارة وبكمال الأدب ومنتهى الاسترحام والاستعطاف - ولقد استجاب الله دعاءه وحقق رجاءه، وحفظ له أولاده، وجعلهم من المصطفين الأخيار.

ويؤخذ من آية: « ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع... إلخ »، ان يدعو الإنسان لأهله وأولاده ومعارفه وأحبابه عند فراقهم بكل خير، ويتضرع إلى الله عز شأنه أن يحفظهم ويهديهم، وأن يسهل لهم سبل المعيشة برفاهية تامة.

اللهم إنا نسألك أن تيسر لنا أمورنا، وتنور قلوبنا، وتصلح أحوالنا، وترزقنا من فضلك العظيم رزقًا حلالا واسعًا، وتسترنا فى الدنيا والآخرة، واحفظنا فى أهلنا وأولادنا واجعلهم لنا قرة اعين، واختم لنا بخير يا أرحم الراحمين آمين، وصلى اللهم وسلم على جميع الأنبياء والمرسلين، وآل كل منهم وصحابتهم أجمعين، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

* * *

الذكرى الثالثة

هرولة هاجر بين الصفا والمروة

ذكرى السيدة « هاجر » وهى تهرول بين جبلى « الصفا والمروة » بحثًا عن الماء، ونبع ماء « زمزم »(١).

حيث بقيت هاجر ترضع ولدها إسماعيل وتشرب من ذلك الماء الذى كان معهما، بعد أن تركهما إبراهيم عليه السلام فى هذا المكان، حتى نفذ ما فى السقاء، فعطشت وعطش ابنها وجعل ولدها يبكى يتلوّى من شدة العطش فانطلقت تفتش له عن ماء فوجدت (الصفا) أقرب جبلٍ يليها فصعدت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحداً؟ فلم تر أحداً فهبطت من الصفا حتى بلغت الوادى، وسعت سعى المجهود حتى وصلت إلى جبل (المروة) فصعدت عليه ونظرت فلم تجد أحداً، فأخذت تذهب وتجئ بين (الصفا والمروة) سبع مرات، وبينما هى على المروة سمعت صوتًا فقالت: أغثنا إنْ كان عندك غواث، فرأت ملكًا – وهو جبريل – يضرب بعقبه – وقيل بجناحه – الأرض حتى ظهر الماء فنبعت زمزم، فجعلت أم إسماعيل تحوّط الماء وتغرف منه بسقائها وهو يفور بعدما تغرف، ثمّ قال لها ذلك الملك: لا تخافى الضيعة (الضياع) فإنّ لله ههنا بيتًا – وأشار إلى قطعة مرتفعة من الأرض – يبنيه هذا الغلام وأبوه .. ثم غاب الملك عنها، وبدأت الطير ترد إلى الماء وتحوم حوله ومرت قبيلة (جرهم) فرأوا الطير

(١) انظر: محمد على الصابونى.. النبوة والأنبياء ص ١٦١.

فاستدلوا على وجود الماء فوصلوا إلى (زمزم) واستأذنوا من أم اسماعيل أن يضربوا خيامهم قريبًا منها فأذنت لهم واستأنست بوجودهم، ثم تكاثرت البيوت، وشبّ اسماعيل وتزوج من القبيلة وتعلّم العربية منهم وأصبحت مكة ماهولة بالسكان منذ ذلك الحين بعد أن كانت قفراً موحشاً.

وتوفيت (هاجر) وإبراهيم عليه السلام لا يزال بعيداً عنها فى أرض فلسطين،ثمّ بعد مرور سنين عديدة حنّ قلب إبراهيم إلى رؤية زوجة وولده .

* * *

الذكرى الرابعة

رؤيا إبراهيم عليه السلام

ذكرى إبراهيم عليه السلام، وهو يرى في المنام أنه يذبح ولده إسماعيل، وهو يقول له [1]:

﴿ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ [الصافات: ١٠٢- ١٠٧]

حيث رأى إبراهيم عليه السلام في منامه رؤيا - ورؤيا الأنبياء حق - أن الله تعالى يأمره بذبح ولده البكر (اسماعيل) عليه السلام الذى لم يكن له ولد غيره، وقد رزقه الله به على كبر وشيخوخة، فما كان من إبراهيم عليه السلام بعد أن استيقظ من النوم إلا أن سارع لتنفيذ أمر الله، دون تلكو أو تردد، ولكنه أراد أن يختبر ولده، ويرى مقدار استجابته وطاعته لله فقال له : ﴿ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴾.

عرض عليه ذلك الأمر ليكون أطيب لقلبه، وأهون عليه من الأخذ بالقوة فبادر الغلام الحليم، إلى الطاعة، وسرعة الإجابة فقال: ﴿ يَا أَبَتِ

(١) انظر: محمد على الصابونى.. النبوة والأنبياء ص ١٦٢، ١٦٣.

افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِى إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾.

بر عظيم، وتوفيق من الله كبير، وإيمان زعزع الجبال - من الوالد وولده - تظهر فيها العبودية لله على أكمل صورها، الأب يؤمر فيسارع إلى تنفيذ أمر الله، والولد يستشار فيلبى طائعًا مستسلمًا لحكم الله.. كان الأمر جرعة من ماء. أراد الولد أن يخفف عن أبيه لوعة الثُّكْل، ويرشده إلى أقرب السُبل، ليصل إلى قصده فقال: يا أبت اجعل لى وثاقًا، واحكم رباطى حتى لا اضطرب، واشحذ شفرتك، وأسرع إمرارها على حلقى، ليكون أهون على، فإن الموت شديد، ووقعه اليم.. فقال له إبراهيم : **(نعم العون أنت يا بنى على تنفيذ أمر الله)** ثم ضمه إلى صدره، وأخذ يقبله ويودعه ثم أسلم إبراهيم ابنه فصرعه على شقة، وأوثقة بكتافه، ووضع السكين على حلقه، وأمرّها فوق عنقه، ولكنها لم تقطع فقد انقلبت فى يده وكأنها قطعة من الخشب، فقال له إسماعيل: يا أبت كبّنى على وجهى، فإنك إذا نظرت إلىّ أدركتك رحمة بى تحول بينك وبين أمر الله.. ففعل ثم وضع السكين على قفاه فلم تمض الشفرة لأن الله تعالى قد سلبها خاصيَّة القطع، عند ذلك جاء النداء الإلهى ﴿ **وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ** ﴾ [الصافات: ١٠٤ - ١٠٧].

* * *

الذكرى الخامسة

ذكرى رحلات إبراهيم عليه السلام الأخرى إلى مكة

من المعلوم(١) أن إبراهيم عليه السلام قدم – في المرحلة الأولى – بزوجه وولده إلى الحجاز، وأسكنهما بواد غير ذي زرع عند بيت الله المحرم الذى لم يكن إذ ذاك إلا مرتفعًا من الأرض كالرابية، تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله، فوضعهما عند دوحة فوق زمزم فى أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذٍ أحد، وليس بها ماء. فوضع عندهما جرابا فيه تمر، وسقاء فيه ماء، ورجع إلى فلسطين، ولم تمض أيام حتى نفذ الزاد والماء، وهناك تفجرت بئر زمزم بفضل الله، فصارت قوتًا لهما وبلاغًا إلى حين. والقصة معروفة بطولها(٢).

وجاءت قبيلة يمانية – وهى جرهم الثانية – فقطنت مكة بإذن من أم إسماعيل يقال إنهم كانوا قبل ذلك فى الأودية التى بأطراف مكة، وقد صرحت رواية البخارى أنهم نزلوا مكة بعد إسماعيل، وقبل أن يشب، وأنهم كانوا يمرون بهذا الوادى قبل ذلك(٣).

وقد كان إبراهيم يرحل إلى مكة بين آونة وأخرى ليطالع تركته، ولا يعلم كم كانت هذه الرحلات، إلا أن المصادر التاريخية حفظت أربعة منها.

---

(١) انظر : صفى الرحمن المباركفورى – الرحيق المختوم – ص ١، ٢٢.

(٢) انظر صحيح البخارى، كتاب الأنبياء ١ /٤٧٤ – ٤٧٥.

(٣) نفس المصدر ١ /٤٧٥.

أ - فقد ذكر الله تعالى فى القرآن أنه أرى إبراهيم فى المنام أنه يذبح إسماعيل، فقام بامتثال هذا الأمر ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٣- ١٠٧].

وسياق القصة يدل على أنها وقعت قبل ميلاد إسحق، لأن البشارة بإسحاق ذكرت بعد سرد القصة بتمامها.

وهذه القصة تتضمن رحلة واحدة - على الأقل - قبل أن يشب إسماعيل.

ب - أما الرحلات الثلاث الأخر فقد رواها البخارى بطولها عن ابن عباس مرفوعًا(١).

وملخصها أن إسماعيل لما شب وتعلم العربية من جرهم، وأعجبهم زوجوه امرأة منهم، وماتت أمه.

وبدا لإبراهيم أن يطالع تركته فجاء بعد هذا التزوج، فلم يجد إسماعيل فسأل امرأته عنه وعن أحوالهما، فشكت إليه ضيق العيش فأوصاها أن تقول لإسماعيل أن يغير عتبة بابه، وفهم إسماعيل ما أراد أبوه، فطلق امرأته تلك وتزوج امرأة أخرى، وهى ابنة مضاض بن عمرو، كبير جرهم وسيدهم(٢).

وجاء إبراهيم مرة أخرى بعد هذا التزوج الثاني فلم يجد إسماعيل

---

(١) ج١/ ٤٧٥- ٤٧٦.

(٢) فانظر: صفى الرحمن المباركفوري.. مصدر سابق.

فرجع إلى فلسطين بعد أن سأل زوجته عنه وعن أحوالهما فأثنت على الله، فأوصى إلى إسماعيل أن يثبت عتبة بابه.

وجاء مرة ثالثة فلقى إسماعيل وهو يبرى نبلاً له تحت دوحة قريبًا من زمزم، فلما رآه قام إليه فصنع كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد، وكان لقاؤهما بعد فترة طويلة من الزمن، قلما يصبر فيها الأب الكبير الأواه العطوف عن ولده، والولد البار الصالح الرشيد عن أبيه.

وفى هذه المرة بنيا الكعبة، ورفعا قواعدها، وأذن إبراهيم فى الناس بالحج كما أمره الله.

* * *

الذكرى السادسة

رفع قواعد البيت

ذكرى إبراهيم عليه السلام وهو يرفع القواعد من البيت ومعه ولده إسماعيل عليبه السلام، وهو يقول: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧ : ١٢٨].

يقول الإمام ابن كثير - يرحمه الله - فى تفسيره: يقول تعالى.. واذكر - يا محمد - لقومك بناء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام البيت، ورفعهما القواعد منه، وهما يقولان ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ فهما - عليهما السلام - فى عمل صالح، وهما يسألان الله تعالى أن يتقبل منهما.

هذا.. وبعد تمام البناء: ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت﴾ أي: أرشده الله إليه، وسلمه له، وأذن له فى بنائه: يقول له.. ﴿ألا تشرك بى شيئًا﴾ أى ابنه على اسمى وحدى، خالصا لى، ثم يقول له ﴿وطهر بيتى﴾ من الشرك ﴿للطائفين والعاكفين والركع السجود﴾ يعنى: اجعله خالصا لهؤلاء الذين يعبدون الله وحده لا شريك له؛ حيث إن الطواف، وهو أخص العبادات عند البيت، لا يفعل ببقعة من الأرض سواها، وقرن الطواف بالصلاة (والقائمين) فى الصلاة ﴿والركع السجود﴾ لأنهما لا يشرعان إلا مختصين بالبيت، فالطواف عنده، والصلاة إليه فى غالب الأحوال.

أقـول: وبعـد تمام بنائه، وتطهـيـره من الشـرك، وتخليـصـه للطائفين والعاكفين والركع السجود.. يقول رب العزة لإبراهيم عليه السلام:

﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ [الحج: ٢٥، ٢٦]. أي: ناد في الناس داعيًا لهم إلى الحج إلى هذا البيت الذي أمرناك ببنائه وتطهيره.

ذكر أنه قال: يا رب.. وكيف أبلغ الناس وصوتي لا يصل إليهم .. ؟

فقيل له: ناد ، وعلينا البلاغ.

فـقـام على مـقـامـه، وقـيل على جـبل الصـفـا، وقـيل على جـبل أبي قبيس..!!

وقال : يا أيها الناس..! إن ربكم قد اتخذ بيتًا فحجوه.

فيقال: إن الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض، وأسمع من في الأصلاب والأرحام، وأجـابه كل شيء سـمـعـه، من: حـجـر، ومـدر، وشـجـر، ومن كـتب الله أنه يحج إلى يوم القـيـامـة.. قـائلاً: «لـبـيك اللهم لبيك».

أخي المسلم وأختي المسلم ..!!

على كل منا أن يتوجه إلى الله تعالى بوافر للشكر، وعظيم الحمد، على أن كتب الله لنا ونحن في أصلاب الآباء وأرحام الأمهات أن نحج، وجعلنا ممن لبى وقال: «لبيك اللهم لبيك».

* * *

الذكرى السابعة

حادثـة الفـيـل

علينا : أن نتذكر « حادثة الفيل »، وكيف أن الله تعالى يحمى بيته ويصونه من الغزاة والمعتدين.

وقد سجلت هذه الحادثة فى كتاب الله تعالى فى سورة باسم « الفيل ».

يقول سبحانه : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ [الفيل].

حيث بنى أبرهة كنيسةً لم يُرَ مثلها فى زمانها، ثم كتب إلى النجاشيّ : إنى قد بينت لك أيها الملك، كنيسةً لم يبن مثلها لملكٍ كان قبلك، ولستُ بمنتهٍ حتى أصرف إليها حجَّ العرب !.

فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشى غضب رجل من العرب فخرج حتى أتى إليها فقعد فيها[1]، ثم خرج فلحق بأرضه.

فأخبر بذلك أبرهة فقال : مَن صنع هذا؟ فقيل له : صنع هذا رجل من العرب من أهل هذا البيت الذى تحج العرب إليه بمكة، لما سمع قولك : « أصرف إليها حجَّ العرب » غضب فجاء فقعد فيها، أى إنها ليست لذلك بأهل.

---

(١) أى أحدث.

فغضب عند ذلك أبرهة، وحلف ليسيرن إلى البيت حتى يهدمه، ثم أمر الحبشة فتهيّأت وتجهزت، ثم سار وخرج معه بالفيل، وسمعت بذلك العربُ فأعظموه وفظعوا به، ورأوا جهاده حقًا عليهم، حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام.

ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك، يريد ما خرج له، حتى إذا مرَّ بالطائف خرج إليه رجال من ثقيف، فقالوا له: أيها الملك، إنما نحن عبيدك، سامعون لك مطيعون، ليس عندنا لك خلاف، وليس بيننا هذا الذى تريد - يعنون اللات - إنما تريد البيت الذى بمكة، فتجاوز عنهم.

فلما نزل أبرهة المغمس(1) بعث رجلاً من الحبشة على خيل له، حتى انتهى إلى مكة ، فساق إليه أموال تهامة من قريش وغيرهم، فأصاب فيها مائتى بعير لعبد المطلب بن هاشم، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها، فهمَّت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به فتركوا ذلك.

وبعث أبرهة حُناطة الحميرىّ إلى مكة فقال له: سل عن سيد أهل هذا البلد وشريفها. ثم قال له: إن الملك يقول لك: إنى لم آت لحربكم، إنما جئت لهدم هذا البيت، فإن لم تعرضوا لنا دونه بحربٍ فلا حاجة لى فى دمائكم. فإن هو لم يرد حربى فأتنى به.

فلما دخل حُناطة مكة سأل عن سيد قريشْ وشريفها، فقيل له: عبد المطلب بن هاشم. فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة، فقال له عبد المطلب:

---

(1) المغمس: موضع قرب مكة فى طريق الطائف.

والله مـا نريد حـربه، ومـا لنا بذلك من طاقـة، هـذا بيت الله الحـرام، وبيت خليله إبراهيم عليه السلام، فإن يمنعه منه فهو بيته وحرمه، وإن يخلِّ بينه وبينه فوالله ما عندنا دفعٌ عنه. فقـال حناطة: فـانطلق معى إليـه، فإنه قـد أمرنى أن آتيه بك. فانطلق معـه عبد المطلب ومعه بعض بنيه حتى أتى العسكر.

وكـان عبـد المطلب أوسم الناس وأجـملهم وأعظمـهم، فلمـا رآه أبرهة أجله وأعظمه، وأكرمه أن يجلسه تحته، وكره أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه، فنزل أبرهة عن سريره، فجلس على بساطه وأجلسه معه عليـه إلى جنبـه، ثم قـال لتـرجـمـانه: قل له: حـاجـتك. فـقـال له ذلك الترجـمان، فقال: حاجتى أن يردَّ علىَّ الملك مائتى بعير أصابها لى، فلما قال ذلك قال أبرهة لترجمانه: قل له: قد كنت أعجبتنى حين رأيتك، ثم قد زهدت فيك حين كلمتنى! أتكلِّمنى فى مائتى بعير أصبتُها لك وتترك بيتًا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمنى فيه؟ قال له عبد المطلب: إنى أنا رب الإبل، وإن للبيت ربًّا سيمنعه! قال: ما كان ليمتنع منى!. قال: أنت وذاك.

وردَّ أبرهة على عبد المطلب الإبل التى أصاب له، وانصرف عبد المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر، وأمرهم بالخروج من مكة إلى الجبال والشعاب، تخوفًا عليهم من معرَّة الجيش(١). ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبـة، وقـام مـعـه نفـرٌ من قـريش يدعـون الله ويستنصـرونه على أبرهة وجنده، فقال عبد المطلب: وهو آخذ بحلقة باب الكعبة:

---

(١) معرة الجيش: شدته.

لا هُمَّ إن العبد يَمْـ ـنعُ رحلَه فامنعْ رِحالك

لا يغلبَنَّ صليبُهُم ومِحالُهم غدوا محالك[1]

إن كنت تاركهم وقبـ ـلتنا فَأَمْرُ ما بدا لك

ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة ، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شعف الجبال، فتحرزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها.

فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة، وهيأ فيله، وعبّى جيشه، وكان اسم الفيل « محموداً » ، وأبرهة مُجمعٌ لهدم البيت ثم الانصراف إلى اليمن، فلما وجهوا الفيل إلى مكة ، برك الفيل، وضربوا الفيل ليقوم فأبى فوجهوه راجعًا إلى اليمن فقام يهرول، ووجوه إلى الشام ففعل مثل ذلك، ووجوه إلى مكة فبرك، فأرسل الله تعالى طيراً من البحر ، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها : حجر في منقاره، وحجران في رجليه، أمثال الحمص والعدس، لا تصيب منهم أحداً إلا هلك، وليس كلهم أصابت، وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذى منه جاءُوا، يتساقطون بكل طريق، ويهلكون بكل مهلك، على كل منهل، وأصب أبرهة فى جسده فمات .

قال ابن إسحاق :

فلما بعث الله تعالى محمداً ﷺ كان ممَّا يعُدُّ الله على قريش من نعمه عليهم وفضله، ما ردَّ عنهم من أمر الحبشة، لبقاء أمرهم ومدته، فقال الله

---

(١) المحال : بالكسر: الشدة والقوة .

تبارك وتعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ① أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ② وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ③ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ④ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ [الفيل] .

****

الذكرى الثامنة

ميلاد محمد ﷺ

ذكرى ميلاد رسول الله ﷺ فى مكة المكرمة، وهو أشرف ولد آدم، وأفضلهم نسباً، من قبل أبيه وأمه ﷺ .

ويزعمون(١) – فيما يتحدث الناس ، والله أعلم – أن آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ كانت تحدث : أنها أُتيت حين حملت برسول الله ﷺ ، فقيل لها : إنك قد حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وقع إلى الأرض، فقولى : « أعيذه بالواحد، من شر كل حاسد . ! »، ثم سميه محمداً .

وقد ولد عليه الصلاة والسلام عام الفيل .

ورأت أمه حين حملت به : أنه خرج منها نور رأت به قصور « بصرى » من أرض الشام .

ومات أبوه عبد الله، وأمه حامل به .

ويقول حسان بن ثابت رضى الله عنه : والله إنى لغلام ابن سبع سنين أو ثمان، أعقل كل ما سمعت .. إذْ سمعت يهودياً يصرخ بأعلى صوته على حصن بيثرب – المدينة– قائلاً : يا معشر يهود . !! حتى إذا اجتمعوا إليه، قالوا له : ويلك!! مالك؟

قال : طلع الليلة نجم أحمد الذى وُلد به .

---

(١) انظر : ابن هشام .. تهذيب سيرة ابن هشام، لعبد السلام هارون ص ٣٦ .

ولما وضعته أمه عليه الصلاة والسلام: أرسلت إلى جده عبد المطلب: إنه قد ولد لك غلام، فأته فانظر إليه، فأتاه ، فنظر إليه، وحدثته بما رأت حين حملت به، وما قيل لها فيه، وما أمرت به أن تسميه.

فيزعمون: أن عبد المطلب أخذه، فدخل به الكعبة، فقام يدعو الله، ويشكر له ما أعطاه، ثم خرج به إلى أمه، فدفعه إليها.

****

الذكرى التاسعة

سيرة المصطفى ﷺ

وهى ذكريات غالية: تتعلق بسيرة المصطفى ﷺ، من بدء نشأته، ونسبه الشريف، وطهارته، وأمانته، ومكانته فى قومه، وبين عشيرته، ثم بعثته، وتحمله الأذى من أجل دعوته ﷺ ، وإخراجه من مكة المكرمة «أحب بلاد الله إلى الله، وأحب بلاد الله إليه» وهجرته إلى المدينة، وتكوّن الدولة الإسلامية فيها، وانطلاقها فى تبليغ الدعوة منها، وغزواته.

ثم عوده إلى مكة المكرمة فاتحًا لها، منتصراً على الباطل فيها، وعفوه الكريم العام، عمن آذوه، وحاربوه، وعاندوه، وأخرجوه ﷺ .

ويفيد فى معايشة هذه الذكريات، والإفادة منها، والاهتداء بها، مطالعة بعض الكتب التالية:

١- سيرة ابن هشام.

٢- زاد المعاد فى هدى خير العباد. لابن القيم.

٣- سبل الهدى والرشاد.

٤- الفصول فى سيرة الرسول . لابن كثير.

٥- عيون الأثر فى المغازى والسير. لابن سيد الناس.

٦- المغازى. للواقدى

٧- الرحيق المختوم. للمباركفورى

٨- المنهج الحركى للسيرة النبوية. د. منير الغضبان

٩- فقه السيرة. للبوطى

١٠- الشفا بتعريف حقوق المصطفى. للقاضى عياض

إضافة إلى كتب السنة الشريف.

****

الذكرى العاشرة

حجة الوداع

وهى ذكرى حجته عليه الصلاة والسلام، وهى المسماة بـ « حجة الوداع »، وتفاصيلها مذكورة فى كتب السنة التالية:

١- صحيح البخارى.. كتاب الحج.

٢- صحيح مسلم .. كتاب الحج، باب: حجة النبى ﷺ

٣- سنن أبى داود.. كتاب المناسك، باب: صفة حجة النبى ﷺ

٤- سنن الترمذى.. كتاب الحج.

٥- سنن النسائى .. كتاب مناسك الحج.

٦- سنن ابن ماجة .. كتاب المناسب، باب: حجة رسول الله ﷺ .

وكذلك: تفاصيلها مذكورة فى كتب السيرة النبوية.

ونحن ننقل لك حرفيًا ما كتبه العلامة: صفى الرحمن المباركفورى فى كتابه القيم« الرحيق المختوم » تحت عنوان (حجة الوداع).

كتب يقول جزاه الله خيرًا(١):

تمت أعمال الدعوة، وإبلاغ الرسالة، وبناء مجتمع جديد على أساس إثبات الألوهية لله، ونفيها عن غيره، وعلى أساس رسالة محمد ﷺ،

(١) انظر: الرحيق المختوم ص ٤٨٨ - ٤٩٣.

وكان هاتفاً خفياً انبعث فى قلب رسول الله ﷺ، يشعره أن مقامه فى الدنيا قد أوشك على النهاية، حتى إنه حين بعث معاذاً على اليمن سنة ١٠ هـ قال له فيما قال: يا معاذ، إنك عسى أن لا تلقانى بعد عامى هذا، ولعلك أن تمر بمسجدى هذا وقبرى، فبكى معاذ خشعاً لفراق رسول الله ﷺ.

وشاء الله أن يرى رسوله ﷺ ثمار دعوته، التى عانى فى سبيلها ألواناً من المتاعب بضعاً وعشرين عاماً، فيجتمع فى أطراف مكة بأفراد قبائل العرب وممثليها، فيأخذوا منه شرائع الدين وأحكامه، ويأخذ منهم الشهادة على أنه أدى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة.

أعلن النبى ﷺ بقصده لهذه الحجة المبرورة المشهودة، فقدم المدينة بشر كثير، كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله ﷺ(١). وفى يوم السبت لأربع بقين من ذى القعدة تهيأ النبى ﷺ للرحيل(٢)، فترجل وادهن ولبس إزاره ورداءه وقلد بدنه، وانطلق بعد الظهر، حتى بلغ ذا الحليفة قبل أن يصلى العصر، فصلاها ركعتين، وبات هناك حتى أصبح، فلما أصبح قال لأصحابه: أتانى الليلة آت من ربى فقال: صل فى هذا الوادى المبارك، وقل: عمرة فى حجة(٣).

---

(١) روى ذلك مسلم عن جابر، باب حجة النبى ﷺ.

(٢) حقق ذلك ابن حجر تحقيقاً أنيقاً، مع تصحيح ما ورد من انه خرج لخمس بقين من ذى القعدة انظر فتح البارى ٨ / ١٠٤.

(٣) رواه البخارى عن عمر ١ / ٢٠٧.

وقبل أن يصلى الظهر اغتسل لإحرامه، ثم طيبته عائشة بيدها في بدنه ورأسه، حتى كان الطيب يُرى فى مفارقه ولحيته، ثم استدامه ولم يغسله، ثم لبس إزاره ورداءه، ثم صلى الظهر ركعتين، ثم أهل بالحج والعمرة فى مصلاه، وقرن بينهما، ثم خرج، فركب القصواء، فأهل أيضاً، ثم أهل لما استقلت به على البيداء.

ثم واصل سيره حتى قرب من مكة، فبات بذى طُوى، ثم دخل مكة بعد أن صلى الفجر واغتسل من صباح يوم الأحد لأربع ليال خلون من ذى الحجة سنة ١٠ هـ - وقد قضى فى الطريق ثمان ليال، وهى المسافة الوسطى - فلما دخل المسجد الحرام طاف بالبيت، وسعى بين الصفا والمروة، ولم يحل، لأنه كان قارناً قد ساق معه الهدى، فنزل بأعلى مكة عند الحجون، وأقام هناك، ولم يعد إلى الطواف غير طواف الحج.

وأمر من لم يكن معه هدى من أصحابه أن يجعلوا إحرامهم عمرة، فيطوفوا بالبيت وبين الصفا والمروة، ثم يحلوا حلالاً تاماً، فترددوا، فقال: لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما أهديت، ولولا أن معى الهدى لأحللت، فحل من لم يكن معه هدى، وسمعوا وأطاعوا.

وفى اليوم الثامن من ذى الحجة - وهو يوم التروية - توجه إلى منى، فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر - خمس صلوات - ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس، فأجاز حتى أتى عرفة، فوجد القبة قد ضربت له بنمرة، فنزل بها، حتى إذا زالت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له، فأتى بطن الوادى، وقد اجتمع حوله مائة ألف وأربعة وعشرون أو أربعة وأربعون ألفاً من الناس، فقام فيهم خطيباً، وألقى هذه الخطبة الجامعة:

أيها الناس، اسمعوا قولى، فإنى لا أدرى لعل لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبداً(١).

إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، فى شهركم هذا، فى بلدكم هذا. ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمى موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث - وكان مسترضعاً فى بنى سعد فقتلته هذيل - وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع من ربانا ربا عباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله.

فاتقوا الله فى النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف.

وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله(٢).

أيها الناس، إنه لا نبى بعدى، ولا أمة بعدكم، ألا فاعبدوا ربكم، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، طيبة بها أنفسكم، وتحجون بيت ربكم، وأطيعوا أولات أمركم، تدخلوا جنة ربكم(٣).

---

(١) ابن هشام ٢ / ٦٠٣.

(٢) صحيح مسلم باب حجة النبى ﷺ.

(٣) معدن الأعمال، ورواه ابن ماجه وابن عساكر، رحمة للعالمين ١ / ٢٦٣.

وأنتم تسألون عنى، فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت.

فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء، وينكتها إلى الناس «اللهم اشهد». ثلاث مرات(١).

وكان الذى يصرخ فى الناس بقول رسول الله ﷺ - وهو بعرفة - ربيعة ابن أمية بن خلف(٢).

وبعد أن فرغ النبى ﷺ من إلقاء الخطبة نزل عليه قوله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣] وعندما سمعها عمر بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: إنه ليس بعد الكمال إلا النقصان(٣).

وبعد الخطبة أذن بلال ثم أقام، فصلى رسول الله ﷺ بالناس الظهر، ثم أقام فصلى العصر، ولم يصل بينهما شيئاً، ثم ركب حتى أتى الموقف، فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات، وجعل حبل المشاة بين يديه، واستقبل القبلة، فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس، وذهبت الصفرة قليلاً حتى غاب القرص، وأردف أسامة، ودفع حتى أتى المزدلفة، فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين، ولم يسبح بينهما شيئاً، ثم اضطجع حتى طلع الفجر، فصلى الفجر حتى تبين له الصبح بأذان وإقامة، ثم ركب

---

(١) مسلم.

(٢) ابن هشام ٢ / ٦٠٥.

(٣) رواه البخارى عن ابن عمر... انظر رحمة للعالمين ١ / ٢٥٦.

القصواء حتى أتى ا لمشعر الحرام، فاستقبل القبلة، فدعاه، وكبره، وهلله، ووحده، فلم يزل واقفاً حتى أسفر جداً.

فدفع - من المزدلفة إلى منى - قبل أن تطلع الشمس، وأردف الفضل ابن عباس حتى أتى بطن مُحَسِّر، فحرك قليلاً، ثم سلك الطريق الوسطى التى تخرج على الجمرة الكبرى، حتى أتى الجمرة التى عند الشجرة - وهى الجمرة الكبرى نفسها، كانت عندها شجرة فى ذلك الزمان، وتسمى بجمرة العقبة وبالجمرة الأولى - فرماها بسبع حصيات، يكبر مع كل حصاة منها، مثل حصى الخذف رمى من بطن الوادى، ثم انصرف إلى المنحر، فنحر ثلاثاً وستين بدنة بيده، ثم أعطى علياً فنحر ما غبر - وهى سبع وثلاثون بدنة، تمام المائة - وأشركه فى هديه، ثم أمر من كل بدنة ببضعة، فجعلت فى قدر، فطبخت، فأكلا من لحمها، وشربا من مرقها.

ثم ركب رسول الله ﷺ، فأفاض إلى البيت، فصلى بمكة الظهر، فأتى على بنى عبد المطلب يسقون على زمزم، فقال: انزعوا بنى عبد المطلب فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم، فناولوه دلواً فشرب منه(١).

وخطب النبى ﷺ يوم النحر - عاشر ذى الحجة - أيضاً حين ارتفع الضحى، وهو على بغلة شهباء، وعلى يعبر عنه، والناس بين قائم وقاعد(٢). وأعاد فى خطبته هذه بعض ما كان ألقاه أمس، فقد روى الشيخان عن أبى بكرة قال: خطبنا النبى ﷺ يوم النحر، قال:

---

(١) رواه مسلم عن جابر، باب حجة النبى ﷺ.

(٢) روى ذلك أبو داود، باب أى وقت يخطب يوم النحر.

« إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السماوات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم، ثلاث متواليات، ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان ».

وقال: « أى شهر هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس ذا الحجة؟ قلنا: بلى. قال: أى بلد هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليست البلدة؟ قلنا: بلى. فأى يوم هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس يوم النحر؟ قلنا: بلى. قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، فى بلدكم هذا، فى شهركم هذا».

« وستلقون ربكم، فيسألكم عن أعمالكم، ألا فلا ترجعوا بعدى ضلالاً يضرب بعضكم رقاب بعض ».

« ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم، قال: اللهم أشهد، فليبلغ الشاهد الغائب فرب مُبَلَّغَ أوعى من سامع »(١).

وفى رواية أنه قال فى تلك الخطبة: « ألا لا يجنى جان إلا على نفسه، ألا لا يجنى جان على ولده، ولا مولود على والده، ألا إن الشيطان قد يئس أن يعبد فى بلدكم هذا أبداً، ولكن ستكون له طاعة فيما تحتقرون من أعمالكم، فسيرضى به »(٢).

---

(١) صحيح البخارى، باب الخطبة أيام منى.

(٢) رواه الترمذى، وابن ماجه فى الحج.

وأقام أيام التشريق بمنى يؤدى المناسك ويعلم الشرائع، ويذكر الله، ويقيم سنن الهدى من ملة إبراهيم، ويمحو آثار الشرك ومعالمها، وقد خطب فى بعض أيام التشريق أيضاً، فقد روى أبو داود بإسناد حسن عن سراء بنت نبهان قالت: خطبنا رسول الله ﷺ يوم الرءوس، فقال: أليس هذا أوسط أيام التشريق(١). وكانت خطبته فى هذا اليوم مثل خطبته يوم النحر، ووقعت هذه الخطبة عقب نزول سورة النصر.

وفى يوم النفر الثانى - الثالث عشر من ذى الحجة - نفر النبى ﷺ من منى، فنزل بخيف بنى كنانة من الأبطح، وأقام هناك بقية يومه ذلك، وليلته، وصلى هناك الظهر والعصر والمغرب والعشاء، ثم رقد رقدة، ثم ركب إلى البيت، فطاف به طواف الوداع.

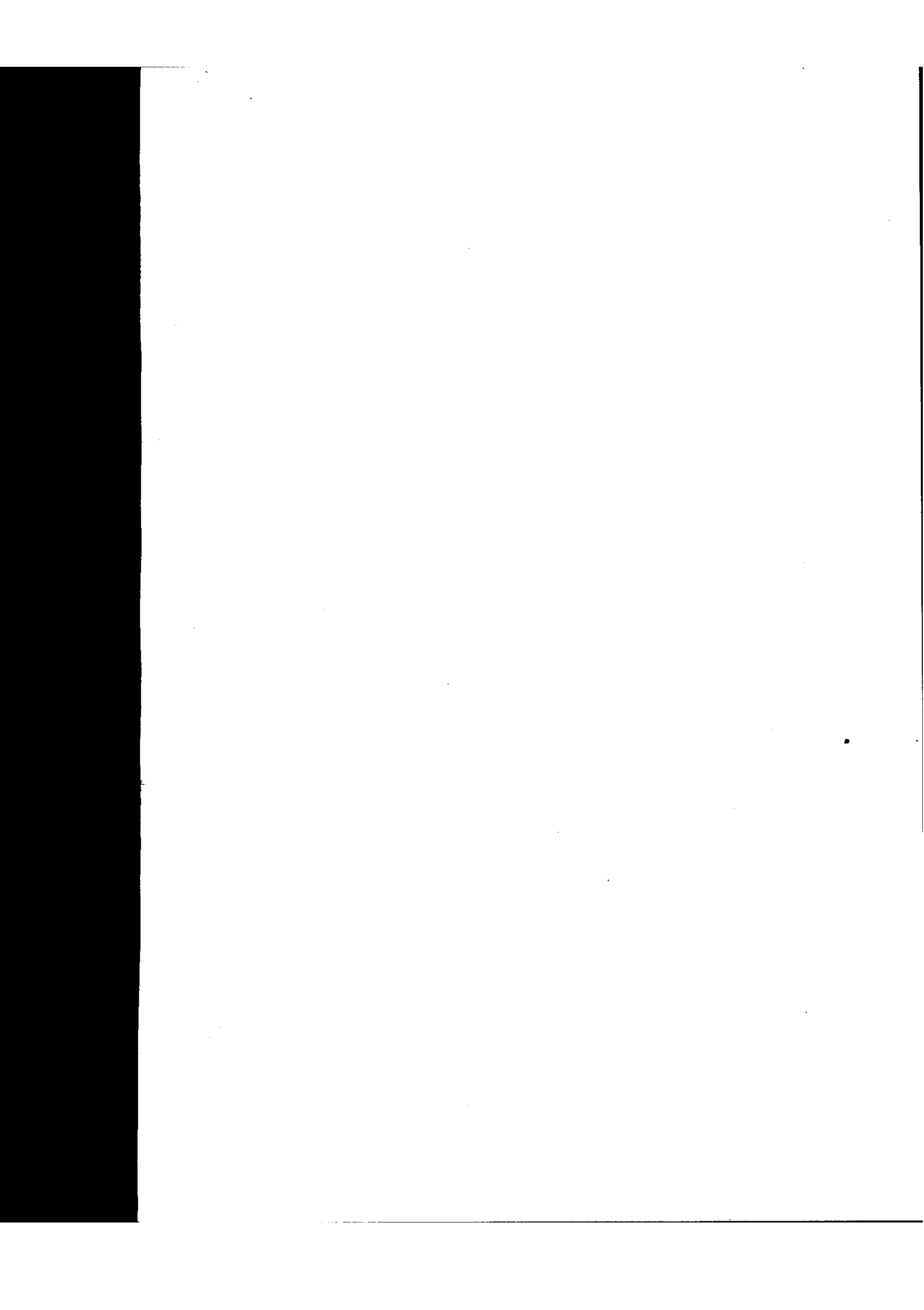
ولما قضى مناسكه حث الركاب إلى المدينة المطهرة، لا ليأخذ حظاً من الراحة، بل ليستأنف الكفاح والكدح لله وفى سبيل الله(٢).

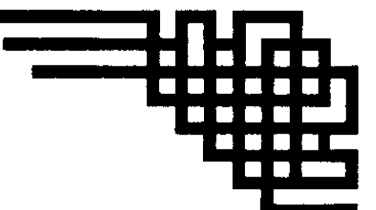
****

---

(١) أبو داود. باب أى يوم يخطب بمنى.

(٢) انظر لتفصيل حجة النبى ﷺ صحيح البخارى كتاب المناسك، وصحيح مسلم باب حجة النبى ﷺ وفتح البارى ج٣ من شرح كتاب المناسك وج ٨/١٠٣ إلى ١١٠ وابن هشام ٢/٦٠١ إلى ٦٠٥، زاد المعاد ١/١٩٦، ٢١٨ إلى ٢٤٠.





الفصل الثالث

نتائج مرجوّه

* تمهيد .
* تحديد الهدف .
* الطريق الموصل إلى الهدف .
* وسائل المحافظة على الهدف .

أخى المسلم.. !!

أختى المسلمة.. !!

الآن كل منا – يرجو أن يعود بفضل الله تعالى – سالمًا غانمًا، خالصًا من ذنوبه كيوم ولدته أمه بإذن الله تعالى.

فهل يضمن أحدنا.. أن يعيش – أطال الله أعمالكم جميعًا بالصحة والعمل الصالح – حتى تتاح له هذه الفرصة.. مرة أخرى..؟

وهل يقبل أحدنا – بعد هذه الطهارة والصفاء والرضا الذى يضرع إلى الله فى أن يصل إليه – أن يلوّث نفسه بالمعاصى والذنوب.. مرة أخرى..؟

وهل يعجز أحدنا.. أن يظل محافظًا على ما يصل إليه.. من إخلاص فى الطاعة، وصدق فى العبادة، وحسن فى الخلق، ووضوح فى المعاملة..؟

وهل يرضى أحدنا.. أن يعود عبداً لشهواته المحرمة، أسيراً لنزواته الآثمة، ضعيفًا أم نفسه الأمارة بالسوء، راضيًا بوساوس الشيطان له..؟

وهل يظل أحدنا.. يمارس عباداته على أنها عادات فقط، دون أن يغير نفسه، ويصلح حاله، حتى يأخذ الله بيده دوما إلى ساحة رضوانه.. خاصة: إذا كان يعلم علم اليقين.. أن ﴿ **اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** ﴾ [الرعد: ١١]..؟

أعتقد أن إجابة المرء العاقل على هذه التساؤلات.. هى: لا.. وألف لا..!!

إذاً.. كيف نحافظ على ما ينعم الله علينا به..؟

خاصة: وأن الحياة شواغل، والشواغل ملهيات..!!

كما أن المرء ضعيف أمام هذه الملهيات، وهو بطبعه خطّاء، وميال إلى الشهوات..!!

* * *

تعالوا بنا أيها الأحبة فى الله نجيب على هذا السؤال، ونحن نضرع إلى الله تعالى أن يعيننا على طاعته، وأن لا يبعدنا عن ساحته، وأن يجعلنا من عباده الصالحين المصلحين وأن يعيننا على حسن أداء هذه الفريضة.

وإجابتنا من خلال هذه النقاط الثلاث:

أولاً: لابد من تحديد الهدف.

ثانيًا: معرفة الطريق الموصل إليه.

ثالثًا: المحافظة على الهدف بعد الوصول إليه.

* * *

أولاً: الهدف

والهدف الذى أبتغيه، ويرجوه كل مسلم يطمح إلى نوال مرضاة الله تعالى قبل أداء فريضة الحج، وأثناء وبعد أداء فريضة الحج.. هو أن يكون:

١ - صحيح العقيدة

حيث لا يخالط إيمانه بالله دخَل، ولا غبش، ولا أية صورة من صور الشرك، أو أية نزعة من نزعات الرياء وحب السمعة.

حتى يكون مخلصًا لله تعالى فى كل أعماله وأقواله، **﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ﴾** [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

لا يعتمد إلا عليه، ولا يلجأ إلا إليه سبحانه، ولا يلوذ إلا به، ولا يخاف إلا منه، ولا يسأل إلا إياه، ولا يثق إلا فى عدله.

«إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على صعيد واحد.. لينفعوك: لن ينفعوك إلا بما كتب الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك: لن يضروك إلا بما كتب الله عليك» [روى مثله: أحمد فى المسند].

أخى المسلم..

الرزق بيد الله سبحانه، لا يملكه غيره **﴿هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾**

[الذاريات: ٥٨] هو مضمون مضمون ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود: ٦].

فلم إذًا.. أضيّع حياتى وعباداتى من أجله..؟

فأكتسبه من حرام؟ أو أنفقه فى حرام؟ أو اكتنزه على وجه حرام..؟

وكذلك العمر بيده سبحانه، لا يملكه غيره ﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨] لا ينقصه من دون أمره أحد ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [فاطر: ١١] هو محدود محدود ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ [الرعد: ٣٨].

فلم إذًا أضيع حياتى وعباداتى خوفًا عليه..؟

وأعيش ذليلاً للعبيد..؟ راضيًا بالهوان..؟ لا أساعد الضعفاء، ولا أناصر المظلومين، ولا أطيع رب العالمين..؟

عمومًا..

لابد أن أراجع دومًا عقيدتى..

من جهة إيمانى بالله عز وجل، وضرورة تحقيق هذا الإيمان، قولاً وعملاً، للوصول إلى مرضاة الله.

ومن جهة إيمانى برسول الله ﷺ، وضرورة متابعته، للوصول إلى مرضاة الله ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١].

ومن جهة..

ومن جهة..

ومن جميع الجهات..

٢ - متين الخلق

والخلق الحسَن: ثمرة من ثمار صحة العقيدة، ونتيجة من نتائج صدق الإيمان، وعلامة من علامات المؤمنين.

وإن أثقل شيء فى ميزان العبد يوم القيامة: حسن الخلق.

والطريق الموصل إلى اكتساب حسن الخلق، هو: تلاوة القرآن، والصلاة، واللبث فى المساجد، وحلق الذكر، وتهجد الثلث الأخير من الليل، وزيارة القبور، ومجالس العلم.

ومن لم تحلق به روحه، وتحسن له خلقه.. إذْ هو على حصيرة المسجد البالية: فلن يطير به بساط السندباد.

ومجال التدريب فى حسن الخلق: يكون بين الناس، لا فى اعتزالهم، بالصبر عليهم، والإحسان إليهم، وتحمل ضعفهم، وحملهم على الخير حملاً، وإرشادهم إلى الطاعة نصحًا حكيمًا.

وأولى الناس بالتدريب على حسن الخلق معهم: أهلك وذووك **«خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى»** [ابن ماجة.. كتاب النكاح، الدارمى.. كتاب النكاح].

ولن يكون المرء مسلمًا نافعًا.. حتى يكون قدوة..

ولن يكون قدوة.. حتى يهتم بتزكية نفسه، وتطهيرها، ومتابعتها باكتساب الفضائل، والتخلى عن الرذائل.

وإذا ما حدث: تأثر به الغير، وأحب فعل الخير تقليداً له، وضم – بالتالى – مثل حسناتهم إلى حسناته **«ومن سنّ سنة فى الإسلام حسنة: فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة»** [مسلم.. كتاب العلم، النسائى.. كتاب الزكاة، وأحمد فى المسند].

وحسن الخلق: يكون قبل أداء فريضة الحج، وخلال أداء فريضة الحج، وبعد أداء فريضة الحج.. بمعنى: أن يكون حسن الخلق فى المرء عادة وعبادة، فلا يتخلى عنه لأى سبب، ولا تحت أى ظرف.

٣ – سليم العبادة

وسلامة العبادة.. تعنى: أداءها كاملة غير منقوصة، صحيحة غير مغشوشة.

ولا يكون ذلك: إلا بفهم المسلم لحقيقة العبادة، وعدم حصرها فى بضع ركعات يؤديها، أو فى أموال – قلت أو كثرت – يدفعها.. إلى غير ذلك من الشعائر.

بل العبادة الحقة: أن تكون فى معية الله دائمًا، متوجها له بكل عمل تؤديه، مراقبًا له فى كل أمر تمارسه، تبحث بجد عما يرضيه، تبتعد بصدق عما يغضبه.

العبادة الحقة: هى التى يكون رائدك الإخلاص فيها لله رب العالمين، بعيداً بها عن رياء الخلق، غير طالب بها الشهرة عند الناس، أو المحمدة منهم.

العبادة الحقة: هى التى تكون فيها، وبها موافقًا لشرع الله تعالى، بالصورة التى أنزلها الله، وبالكيفية التى بينها رسوله ﷺ.

يقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥].

ويقول تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [لقمان: ٢٢].

وعلى ذلك.. فالعبادة، تشمل[١]:

(أ) الدين كله.. حيث إنها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة.

فالصلاة، والزكاة، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، والإحسان للجار، والعطف على اليتيم والمسكين، والدعاء والذكر والقراءة. وحب الله وخشيته، والشكر على نعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه.. وغير ذلك.

(ب) الحياة كلها.. من أدب الأكل والشرب، وقضاء الحاجة، إلى بناء الدولة، وسياسة الحكم، وسياسة المال، وأصول العلاقات الدولية فى السلم والحرب.. إلخ.

(جـ) الكيان الإنسانى كله.. حيث إن كل عمل اجتماعى نافع.. يعده الإسلام: عبادة من أفضل العبادات، ما دام قصد فاعله الخير، لا

(١) د. يوسف القرضاوى.. العبادة فى الإسلام ص ٤٩ وما بعدها (بتصرف واختصار).

تصيد الثناء، واكتساب السمعة الزائفة عند الناس.. كل عمل يمسح به الإنسان دمعة محزون، أو يخفف به كربة مكروب، أو يضمد به جراح منكوب، أو يسد به رمق محروم، أو يشد به أزر مظلوم، أو يأخذ بيد فقير متعفف ذى عيال، أو يهدى حائرًا، أو يعلم جاهلاً، أو يؤوى غريبًا، أو يدفع شرًا عن مخلوق، أو يحط أذى عن طريق، أو يسوق نفعًا لذى كبد رطبة.. كل ذلك: عبادة، وقربة إلى الله تعالى إذا صحت فيه النية.

وبهذا.. يتضح لنا حقيقة مهمة، لا زال يجهلها الكثير من المسلمين، هى: أن بعض الناس لا يفهم من كلمة (العبادة) إذا ذكرت: إلا الصلاة والصيام والصدقة، والحج والعمرة، ونحو ذلك من الأذكار والأدعية، ولا يحسب أن لها علاقة بالأخلاق والآداب أو النظم والقوانين.

إن عبادة الله: ليست محصورة إذن فى الصلاة والصيام والحج، وما يلحق بها من التلاوة والذكر والدعاء والاستغفار، كما يتبادر إلى فهم كثير من المسلمين إذا دعوا إلى عبادة الله، وكما يحسب كثير من المتدينين أنهم إذا قاموا بهذه الشعائر: فقد وفوا الإلهية حقها، وقاموا بواجب العبودية لله كاملاً.

إن هذه الشعائر العظيمة والأركان الأساسية فى بناء الإسلام، على منزلتها وأهميتها: إنما هى جزء من العبادة، وليست هى كل العبادة التى يريدها الله من عبادة.

والحق: أن دائرة العبادة التى خلق الله الإنسان لها، وجعلها غايته من الحياة.. دائرة رحبة واسعة.

وبهذا نفهم قوله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

٤ - حَسُن المعاملة

حيث إن «الدين المعاملة».

والمعاملة الحسنة: هى ثمرة العقيدة الصحيحة، والعبادة السليمة.

والمولى عز وجل لم يترك عباده يتيهون فى حقول التجارب بحثًا عن طرق جيدة لمعاملات تريحهم فى الدنيا، وتسعدهم فى الآخرة.

بل: وضح لهم هذه المعاملات، وجعلها فى صورة تشريع، يثابون على الالتزام به، والتطبيق له.

سواء كان ذلك.. فى جانب المعاملات الاجتماعية.. كما فى قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٢٧، ٢٨].

أو فى جانب المعاملات الحربية.. كما فى قوله تعالى ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (٥٨) وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ (٥٩) وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ.. ﴾ [الأنفال: ٥٨ - ٦٠].

أو فى جانب المعاملات المالية.. كما فى قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَىٰ وَلا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلاَّ تَرْتَابُوا إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وسواء كان ذلك أيضًا.. بين الأفراد وبعضهم البعض.. كما فى قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١١، ١٢].

أو بين الجماعات وبعضهم البعض.. كما فى قوله تعالى ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ٩، ١٠].

وسواء كان ذلك.. بين المؤمنين وبعضهم البعض.. كما فى قوله تعالى ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

وكما فى الحديث الشريف **«مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر».**

أو بين المؤمنين وغيرهم.. كما فى قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١، ٥٢].

وسواء كان ذلك.. على المستوى الفردى.. كما فى الحديث الشريف **«آيات المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان»**

وفى رواية «**إذا عاهد : غدر**» [رواه : البخارى ومسلم والترمذى . . كتاب الإيمان] .

أو على المستوى الجماعى ﴿ **وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٢) وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ** ﴾ [هود : ١١٢ ، ١١٣] .

إلى غير ذلك . . مما تميز به الإسلام وانفرد ، فى جانب المعاملات الإنسانية ، أفراداً ، وجماعات وشعوباً وحكومات .

* * *

ثانيًا: معرفة الطريق الموصل إلى الهدف

وهذا الطريق الذى يوصلنى إلى هذا الهدف: هو تحقيق إسلامى فى عالم الواقع ودنيا الناس.

ولكن: كيف أحقق إسلامى..؟

هذا ما تجيب عنه وتوضحه السطور التالية؛ بإذن الله تعالى.

لا بد لمن يريد أن يحقق إسلامة، فى الواقع، وأن يتحقق هو به فى نفسه من اتباع الأمور التالية:

الأمر الأول: أن يعرف دينه معرفة تحقق له.. حسن الاتباع له، والانتفاع به.

ويكفيه فى ذلك: معرفة أصول الدين، التى تحقق له ويحقق بها ما يصحح له عقيدته، ويحسن خلقه، وبصوب عبادته، ويهذب معاملاته، على ضوء ما أشرنا إليه فيما سبق، دون تكليف له بمعرفة الفروع، أو دقيق القضايا.

ويوصله إلى ذلك: حضور دروس العلم قدر استطاعته، قراءة بعض الكتب الميسرة، سؤال أهل العلم الثقات عما يستشكل عليه من الأمور.. هذا: والحلال بين والحرام بين - من فضل الله تعالى - لمن يرغب الوصول.

الأمر الثانى: أن يعرف أعداء دينه ودعوته.. وهم كثر، ولكنهم معروفون، فى مثل قوله تعالى ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا**﴾

[فاطر: ٦] وقوله تعالى ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ [المائدة: ٨٢] .

والغرض من هذه المعرفة.. أن يعرف مخططاتهم ضده وضد دعوته، فيستعد لمواجهتها، وإحباطها بما يستطيع، وإنقاذ نفسه وأمته ودعوته من أضرارها.

الأمر الثالث: أن يعرف لم خلقه الله تعالى..؟

حيث إنه لم يخلق عبثًا، ولم يخلق ليأكل ويشرب، ولم يخلق لممارسة الشهوات والملذات..!! ولَمْ.. ولَمْ.. إلخ، فقط.

بل خلق لغاية وعلة..!!

هذه الغاية.. حار الفلاسفة فى معرفتها وضلوا، ولم يبينها سوى القرآن الكريم.

إذْ بين الله تعالى أن الإنسان مخلوق لغاية سامية، ذكرها فى قوله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦] .

ولمعرفة هذه العبادة: لا بد من مراجعة ما كتبناه فى النقطة السابقة من هذا الفصل.

الأمر الرابع: أن يعرف منزلة الدنيا – التى يحيا فيها، وقد يتصارع مع غيره فيها من أجلها – من الآخرة، التى هو صائر إليها لا محالة، ومقيم بها، والتى نَبّه الله تعالى إلى غفلتنا عنها فى مثل قوله تعالى ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [الأعلى: ١٦، ١٧] .

معرفة تجعله: يمتلك الدنيا دون أن تمتلكه، حيث إنها كما يقول أبو الدرداء رضى الله عنه «دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له»، فلا تنسيه، ولا تطغيه، ولا تكون - بصفة عامة طريقه إلى جهنم والعياذ بالله.

معرفة تجعله: يستعد للآخرة بالعمل الصالح، الذى يسعد به العباد، ويصلح به البلاد.

الأمر الخامس: أن يعرف حتمية الموت لكل حى، وأنه مهما طال عمره لابد أن يأتيه الأجل ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥، الأنبياء: ٣٥، العنكبوت: ٥٧] و﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨] وموعد، لا خلف فيه، ولا تغيير له.

وبعد الموت: يكون وحيداً، فريداً، غريبًا، لا أنيس ولا جليس، لا مال، ولا جاه.. فى قبر: مظلم، بارد، موحش، تملؤه الهوام، ويسرح فيه الدود.

هذا القبر: إما روضة من رياض الجنة - كما أخبر المصطفى ﷺ.. أو حفرة من حفر النار.

ولك الآن الخيار..!!

الأمر السادس: أن تعمل بالإسلام.

أى: تعمل بأحكامه وتعاليمه، وتلتزم بآدابه وتشريعاته، فتتحرى الحلال، وتبتعد عن الحرام، تؤدى فرائض الله، وتتجنب منهياته، أن تقيس كل أعمالك بميزان الشرع: فما وافق.. قمت به، وأتممته؛ طاعة لله، وما خالف.. تركته، ونبذته؛ طاعة لله.

أن تفاخر بانتسابك إلى هذا الدين، الذى أنعم الله عليك به، ورضيه لك ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ﴾ [المائدة : ٣] .

الأمر السابع : أن تعمل للإسلام .

أى : تعمل لصالح هذا الدين، بحثًا عما يرفع رايته، وينشر دعوته، ويعلى كلمته فى العالمين، بيدك، أو بمالك، أو بقلمك، أو بلسانك، أو بالتزامك، أو بأى وسيلة تراها محققة لهذا الغرض .

الأمر الثامن : أن تعمل لصالح المسلمين .

أى : لا تنعزل عن أفراد أمتك، ولا عن جماعاتها، بل عليك أن تبحث عن أمور المسلمين، وأن تعرف أحوالهم، وأن تشاركهم أفراحهم، وأن تقاسمهم أحزانهم .

حيث إن المسلمين – كما يقول الحبيب ﷺ – « **مثلهم ؛ كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو : تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى** » [الشيخان] .

وما أنت – أخى المسلم، وأختى المسلمة – إلا عضو من هذا الجسد . . فكن عضواً نافعًا لجميع أعضاء هذا الجسد العظيم .

ساعد ضعيفهم، ناصر مظلومهم، علم جاهلهم، واس حزينهم، هنيئ سعيدهم، اعطف على صغيرهم، احترم كبيرهم . . إلخ .

ولكن . . قبل كل ذلك : ابدأ بدائرتك الصغيرة، التى تحيا فيها، وهم

أسرتك.. زوجك، وأولادك.. كن بهم باراً، وعليهم عطوفاً، ولمصالحهم مؤدياً.. كل ذلك بما يرضى الله تعالى.

ثم.. صل رحمك.. والديك، أقاربك ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة: ٢١٥].

ثم.. وسِّع دائرة اهتمامك، حتى تشمل الأمة كلها؛ فيتحقق فيها ومنها ولها ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]

وبهذا وغيره:

تقوى الأمة، وتتحقق فيها الخيرية ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وتتحقق لها الريادة والزعامة ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

****

ثالثا: المحافظة على الهدف بعد الوصول إليه

يقولون: من السهل النجاح، ولكن ليس من السهل المحافظة على هذا النجاح.

ولذلك: فإن المحافظة على الهدف الذى حددناه، وجاهدنا فى الوصول إليه.. أمر يحتاج إلى متابعة، كما يحتاج إلى بذل الجهود.

وهذا: يتم - بعون الله تعالى - وفق الخطوات التالية(١):

١- المراقبة

يعنى: مراقبة الإنسان لنفسه، ومتابعتها، فى تحديد الهدف الذى يريد تحقيقه، وفى سلوك الطريق الموصل لتحقيق هذا الهدف، وفى كيفية المحافظة عليه بعد تحقيقه، والوصول إليه.

وهذه المراقبة: هى من صميم الطاعة، والعمل لمرضاة الله سبحانه وتعالى.

حيث إنه: كلما وجد نفسه.. متكسلا عن تذكير نفسه بهذا الهدف العظيم، الذى وضعه لنفسه، أو متكاسلا عن سلوك الطريق الموصل إليه، ساندته هذا المراقبة، التى يرضى الله بها، والتى تعينه على المحافظة على ما وصل إليه من خير وفضل عظيم.

وينبغى على المسلم، والمسلمة: أن يجعل كل واحد منهما هذه المراقبة

---

(١) انظر: مشروع برنامج لإصلاح النفس للمؤلف.

لنفسه،، ديدنه، وعادته، سواء أكانت هذه المراقبة فيما يفعل، أم فيما يترك.

وليعلم جيدا.. إنه إذا نجح فى هذه المراقبة: فقد وصل أو اقترب من درجة الإحسان، التى ذكرها المصطفى ﷺ وسلم «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه: فإنه يراك» [متفق عليه].

ومن منا لا يريد ذلك؟!!

٢- المحاسبة

يعنى: محاسبة الإنسان نفسه كل فترة... عن حاله، وأين هو من هدفه، الذى حدده لنفسه، وأسلوب الوصول إليه، وخطوات المحافظة عليه؟

والعاقل: من حاسب نفسه قبل أن يحاسب، ومن حاسب نفسه الآن: نجا من أهوال الحساب يوم الحساب، وكلما كثرت محاسبة الإنسان لنفسه: قلت عيوبه وكثرت ميزاتة ونجحت خططه فى تحقيق غرضه.

ولذلك: كان عمر رضى الله عنه، يقول: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، وتهيؤا للعرض **﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾** [الحاقة: ١٨] والقرآن الكريم: نبه إلى ضرورة هذه المحاسبة للنفس فى الدنيا، من باب نشدان الكمال، وإصلاح النفس، وللتدريب على مواجهة مشقات الحساب قبل يوم الحساب؛ حيث يقول **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾** [الحشر: ١٨].

ولذلك: على المسلم العاقل.. أن يحاسب نفسه فى كل فترة زمنية

متسائلا مع نفسه..

هل: حقق الهدف المنشود..؟

هل: مازال يسلك الطريق إليه..؟

هل: يحافظ على هذا الهدف بعد أن وصل إليه؟

هل: هو يفعل كل ذلك طاعة لله تعالى؟

وهذه التساؤلات، وهذه المحاسبات: أمر طبيعى وضرورى، لإنقاذ نفسه أولا - كما أشرنا - من أهوال الحساب فى يوم الحساب، الذى يكون على كل شيء.. الصغير والكبير، الحقير والخطير ﴿ **وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ** ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، ثم للنجاح فى الحفاظ على كل خير وصل إليه.

٣- المجاهدة

يعنى: إجهاد النفس، ودفعها إلى بذل الجهد، وتحمل المشاق.

ونقصد بذلك: مجاهدة النفس، وبذلها غاية الاستطاعة فى الوصول إلى المطلوب مما ذكرناه.

ونحن نعرف جيدا: أن هذه المجاهدة، ليست بالأمر الهين، إذ عليها نجاح الموضوع، ونوال الخير كله.

وبدونها: يبدأ التراخى، ثم الإهمال، ثم النسيان، ثم الدوران فى دوامة الصراع بين العقل من جهة، وبين الشهوات والغرائز فى الإنسان من جهة أخرى.

ولذلك: هذه المجاهد - فى الوصول إلى الهدف، وفى الحفاظ على الهدف بعد الوصول إليه - تحتاج إلى مجاهدة.

وتنفيذ ذلك، صعب صعب.

ولكن - كما يقولون - على قدر أهل العزم: تأتى العزائم، وعلى قدر الغاية ونبلها: تهون المسائل.

ثم.. أليست الحياة كلها عناء وتعب..؟

فليكن عناؤنا.. ونحن نطيع الله تعالى، فى أمر يعين على طاعة الله، أو على الأقل: نلقى الله تعالى.. ونحن نحاول أن نطيعه.

كما أن الله عز وجل: لا يخيب من قصده أبدا.

حيث يقول: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

ألستم معى فى ذلك.. يا حجاج بيت الله الكرام...؟

أعاننى الله وإياكم على كل خير يرضاه المولى سبحانه وتعالى.

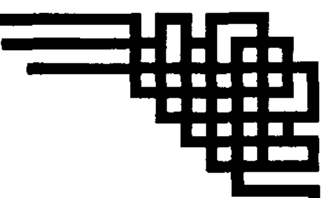
هذا..

وبعد توضيح كل ما سبق.. تعالوا بنا إلى مناسك الحج وأعماله.

ندعو الله أن يعيننا فيها، وأن يتقبل منا ومنكم.

****





الفصل الرابع

مناسك الحج والعمرة

* بعض المعلومات الهامة
* كيفية الحج والعمرة.



أولاً: بعض المعلومات الهامة

* الفرق بين الحج والعمرة.
* أنواع الإحرام.
* تكرار العمرة.
* فى فضائل الحج والعمرة.
* تقبيل الحجر الأسود.. إلخ.
* زيارة قبر المصطفى والمسجد النبوى الشريف.

* * *

الفرق بين الحج والعمرة

العمرة والحج إلى بيت الله الحرام فرض عين فى العمر مرة واحدة لقوله تعالى: ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٩٦].

ولكل واحد منهما: أركان، وواجبات، وشروط، وسنن، ومحظورات.

والذى يعنينا هنا: بيان الفرق بينهما من حيث الأركان.

فأركان العمرة: ثلاثة وهى:

أ – الإحرام.

ب – الطواف بالبيت.

جـ – السعى بين الصفا والمروة.

وأركان الحج: أيضًا أربعة، هى:

أ – الإحرام.

ب – الوقوف بعرفة.

جـ – طواف الإفاضة

د – السعى بين الصفا والمروة.

****

أنواع الإحرام

وأنواع الإحرام: ثلاثة:

أحدها: أن ينوى أداء فريضة الحج فقط، وهذا هو (الإفراد) أى: أداء الحج وحده منفرداً.

ثانيها: أن ينوى أداء العمرة والحج بإحرام واحد، دون أن يتحلل من إحرامه بينهما، وهذا هو (القِران) أى: أداء العمرة والحج متصلتين بإحرام واحد.

ثالثها: أن ينوى أداء العمرة أولاً، ثم يتحلل من إحرامه، ويتمتع بما كان محظوراً عليه فى الإحرام، ثم يحرم مرة أخرى للحج، ويؤديه، وهذا هو (التمتع) أى: أداء كل واحدة منهما منفصلة عن الأخرى، بما يتيح له أن يتمتع بينهما بما يحظر عليه حال إحرامه.

وفى أفضلية أى واحد من هذه الثلاثة: أقوال للعماء كثيرة.

ومن المعلوم: أنه يباح للمرء اختيار أى واحد من هذه الثلاثة، بما يناسبه، وتستريح إليه نفسه.

وفى كل واحد من هذه الثلاثة: خير كثير.

غير أنه إذا اختار (القران) أو (التمتع) ولم يكن من أهل مكة: فعليه .. ﴿**ما استيسر من الهدى**﴾ جملاً، أو بقرة، أو شاة، يذبح شكراً لله

تعالى، فإذا لم يجد: فعليه صيام عشرة أيام، ثلاثة منها فى الحج، وسبعة عندما يعود إلى بلده.

ومن المعلوم أيضًا[1]: أن من أحرم من غير أن يعين نوعًا من هذه الثلاثة – لعدم معرفته بهذا التفصيل – جاز، وصح حجه.

ومن المهم.. أن يتذكر المسلم وهو يرتدى ملابس الإحرام: أنه يخالف بذلك عادته فى الزى والهيئة، وهو مقبل على حج بيت الله، كما سيخالَف به فى الزى والهيئة بعد موته.

فليكثر من الطاعات، والتوبة، وليعزم على إصلاح نفسه من الآن.. وبعد العودة بإذن الله تعالى.

****

(١) سيد سابق.. فقه السنة ٢ / ٦٣٣.

تكرار العمرة

يندب الإكثار من العمرة، ويتأكد ندب التكرار فى شهر رمضان على وجه الخصوص.

فقد وردت أحاديث عديدة تفيد ذلك.

كما ورد أن كبار الصحابة رضوان الله عليهم: كانوا يفعلون ذلك.

فقد روى ابن ماجه والإمام أحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما: أن النبى ﷺ قال: **«عمرة فى رمضان تعدل حجة معى»** أى: ثوابها يعدل ثواب حجة غير مفروضة، حيث إن أداءها لا يسقط أداء حجة الفريضة.

كما روى البخارى ومسلم وأحمد عن أبى هريرة رضى الله عنه: أن النبى ﷺ قال: **«العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور.. ليس له ثواب إلا الجنة»**.

وروى الترمذى - وصححه - والنسائى، عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«تابعوا بين الحج والعمرة؛ فإنهما ينفيان الفقر والذنوب، كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة»**.

هذا.. وفيما رواه ابن عباس، رضى الله عنهما، وأخرجه أبو داود وابن ماجه، وأحمد بسند رجاله ثقات: أن النبى ﷺ .. اعتمر أربع مرات: عمرة الحديبية، وعمرة القضاء، والثالثة من الجعرانة، والرابعة مع حجته» ﷺ.

وقال نافع: اعتمر عبد الله بن عمر، رضى الله عنهما، أعوامًا فى عهد ابن الزبير، عمرتين فى كل عام.

وقال القاسم: إن عائشة رضى الله عنها.. اعتمرت فى سنة ثلاث مرات، فسئل: هل عاب ذلك عليها أحد..؟

قال: سبحان الله..!! أم المؤمنين!!؟

وإلى هذا ذهب أكثر أهل العلم[1].

ولكن مالك رحمه الله: يكره تكرارها فى العام أكثر من مرة.

وعلى هذا: فالمرء مخير بين أن يأخذ برأى أكثر أهل العلم فى تكرار العمرة، أو يأخذ برأى الإمام مالك، ولا حرج فى هذا، ولا حرج فى ذلك، وهو مثاب - بإذن الله تعالى - فى هذا وفى ذاك.

كما أن الذى يختار التكرار: إما أن يفعل ذلك فى سفرة واحدة، حيث يؤدى العمرة، ثم يتحلل، وبعد ذلك يخرج إلى الحل ويحرم بعمرة جديدة، وهكذا.

أو يعود إلى بلده بعد أداء العمرة، ثم يعود مرة أخرى لأداء عمرة جديدة، وهكذا.

ولا حرج فى هذا، ولا حرج فى ذاك، وهو مثاب - بإذن الله تعالى - فى هذا وفى ذاك.

****

(١) سيد سابق.. فقه السنة ١/٥٥٥.

في فضل الحج والعمرة

وفى ذلك رويت أحاديث وآثار كثيرة، نذكر بعضها فيما يلى:

أ - فهو أفضل الأعمال:

فعن أبى هريرة أنه قال: سئل رسول الله ﷺ .. أى الأعمال أفضل..؟

قال: **إيمان بالله ورسوله.**

قيل: ثم ماذا؟

قال: **ثم جهاد فى سبيل الله.**

قيل: ثم ماذا؟

قال: **حج مبرور.**

ب - وهو يمحق الذنوب:

روى البخارى ومسلم، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من حج فلم يرفث، ولم يفسق.. رجع كيوم ولدته أمه».**

وروى مسلم، عن عمرو بن العاص، قال: لما جعل الله الإسلام فى قلبى.. أتيت رسول الله ﷺ، فقلت: أبسط يدك لأبايعك.

فبسط.

فقبضت يدى.

فقال: **مالك يا عمرو..؟**

قلت : اشترط .

قال : **تشترط ماذا . . ؟**

قلت : أن يُغفَر لى .

قال : «**أما علمت أن الإسلام يهدم ما قبله ، وأن الهجرة تهدم ما قبلها ، وأن الحج يهدم ما قبله . .**» ؟

جـ- ويجعل صاحبه مجاب الدعوة

عن أبى هريرة رضى الله عنه . . أن رسول الله ﷺ ، قال : «**الحجاج والعمار : وفد الله ، إن دعوه : أجابهم ، وإن استغفروه : غفر لهم**» .

د - ويدخل صاحبه الجنة :

روى ابن جريج - بإسناد حسن - عن جابر رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ ، قال : «**هذا البيت . . دعامة الإسلام ، فمن خرج يؤم هذا البيت ، من حاج أو معتمر : كان مضمونًا على الله إن قبضه . . أن يدخله الجنة ، وإن ردَّه . . ردّه بأجر وغنيمة**» .

****

تقبيل الحجر الأسود عند استلامه
وتقبيل الأيدى عند استلام الركن اليمانى

أعلم أنه لو لم يرد فى الحجر الأسود شىء من الأحاديث، لكفى له شرفا كونه فى ركن بيت الله المعظم، واجماع الناس على احترامه وتعظيمه آناء الليل وأطراف النهار جاهلية وإسلاما.

فحجر فى بيت الله الحرام، جاء به جبريل ووضعه إبراهيم الخليل، ثم وضعه خاتم الأنبياء نبينا محمد، ﷺ بيده فيه أيضا، وقبّله هو والأنبياء والمرسلون والأصفياء والمتقون، ويتمسح به عامة الناس من جميع الأجناس منذ وجوده بالبيت إلى أن تقوم الساعة: لجدير بكل احترام وتعظيم، وتقبيل وتسليم.

على أن هذا الركن الكريم سواء كان من الجنة أو من الأرض، فهو حجر لا يضر ولا ينفع، وما اكتسب هذا الشرف والاحترام إلا من الأديان السماوية، وانظر إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، كيف يخاطب هذا الحجر الكريم حين تقبيله ويقول: «والله إنى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك» وفى رواية «كان عمر بن الخطاب إذا بلغ موضع الركن قال أشهد أنك حجر لا تضر ولا تنفع وأن ربى الله الذى لا إله إلا هو، ولولا أنى رأيت رسول الله، ﷺ: يمسحك ويقبلك ما قبلتك ولا مسحتك».

ثم إن فى تقبيل المسلمين واستلامهم للحجر الأسود نقطة دقيقة أخرى

وهى : أن تقع أفواههم موضع فم رسول الله، ﷺ، وفم الأنبياء الذين قبله، عليهم الصلاة والسلام، وأن تلمس أيديهم ما لمسته يده الشريفة من هذا الحجر المكرم، وأى مسلم إذا خطرت بباله هذه النقطة ليبادر بتقبيله واستلامه.

ثم للحجر الأسود مغزى خاص ورمزى تعبدى - ذلك - أن المسلمين إذا أتوا من كل فج عميق لأداء فريضة الحج، فطافوا ببيت الله الحرام واجتمعوا على تقبيل هذا الحجر الأسود - فكأنهم بذلك يبايعون الله ورسوله ويقدمون لهما الطاعة والإيمان بهما، وفى هذا نهاية الخضوع والامتثال.

وأما عن تقبيل الأيدى عند استلام الركن

فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم إذا استلموا الحجر قبلوا أيديهم نقول: ومن عادة أهل مكة إلى يومنا هذا أن بعضهم إذا صافح إنسانا قبل يد نفسه، والظاهر أن هذه العادة قديمة العهد ناشئة من تقبيل الأيدى إذا استلموا الحجر الأسود كما تقدم - والله تعالى أعلم.

جاء فى كتابنا «إرشاد الزمرة لمناسك الحج والعمرة» عند الكلام على سنن الطواف ما نصه:

وسنن الطواف كثيرة - منها - أن يستقبل الطائف الحجر الأسود قبل البدء بالطواف إذا كان المطاف خاليا، وأن يستلمه بيده اليمنى ثم يقبله بفمه قبلة خفيفة ثم يضع جبهته عليه ويفعل ذلك فى كل مرة، فإن عجز عن التقبيل بيده اليمنى فباليسرى، فإن عجز عن استلامه، استلمه بنحو

عود ثم قبل ما استلم به، فإن عجز عن استلامه أشار إليه بيده أو بشيء فيها ثم قبل ما أشار به، ولا يشير بالفهم إلى التقبيل، ولا يزاحم للتقبيل، بل تحرم المزاحمة والاستلام إن آذى غيره أو تأذى بغيره، ولا يستحب للنساء فى الطواف استلام ولا تقبيل للحجر الأسود والركن اليمانى إلا عند خلو المطاف.

(ومنها) أن يستلم الركن اليمانى بيده ويقبل يده بعد استلامه، فإن عجز عن استلامه أشار إليه بيده أو بشيء فيها لكن لا يقبل ما أشار به للركن اليمانى، وظاهر كلام النووى وغيره تقبيل ما أشار به إليه أيضا، أما الركن الشامى والركن العراقى فلا يسن تقبيلهما ولا استلامهما.

قال البجيرمى فى حاشيته: وقد ثبت أنه، ﷺ، قبل الحجر الأسود، وثبت أنه استلمه بيده ثم قبلها، وثبت أنه استلمه بمحجنه فقبل المحجن، ولم يثبت أنه، ﷺ، قبل الركن اليمانى ولا قبل يده حين استلمه، ولم يستلم الركنين المقابلين للحجر، وهما: الشامى، والعراقى - أ. هـ.

الزحام على تقبيل الحجر الأسود:

يسن تقبيل الحجر الأسود اقتداء برسول الله ﷺ، لكن بشرط أن لا يؤذى المستلم غيره فإن حصل ذلك حرم تقبيله لحدوث الضرر له أو لغيره، وعندئذ يكفى أن يشير إلى الحجر الأسود بيده ويقبل يده.

جاء فى تاريخ الأزرقى أن رسول الله ﷺ. قال لعمر بن الخطاب: « يا عمر إنك رجل قوى وإنك تؤذى الضعيف فإذا رأيت خلوة فاستلمه وإلا فكبر وامض »، وجاء فيه أيضا عن هشام بن عروة أن عمر بن الخطاب، رضى الله عنه كان يستلم إذا وجد فجوة فإذا اشتد الزحام كبر كلما حاذاه.

وجاء فيه أيضا عن عطاء أنه سمع ابن عباس يقول إذا وجدت على الركن زحاما فلا تؤذ ولا تؤذى، وجاء فيه أيضا كان طاووس قلٌ ما استلم الركنين إذا رأى عليهما زحاما قال ابن عباس لا تؤذ مسلما ولا يؤذيك إن رأيت منه خلوة فقبله أو استلمه وإلا فامض.

***

وأما ما يكون من الحجاج فى موسم الحج من ازدحامهم الشديد على تقبيل الحجر الأسود، وأنهم لا يبالون بحصول الأذى لهم أولغيرهم، فإنا نرى لهم نوع عذر فى ذلك فإنهم قد أتوا من بلاد بعيدة يقصدون هذا البيت المقدس افلا يحق لهم أن يقبلوا الحجر الأسود ولو مرة واحدة لكل فرد منهم حتى تلمس شفتاه موضع شفتى رسول الله، ﷺ، وحتى لا تبقى حسرة فى قلب من رجع إلى بلده ولم يستلم الحجر الأسود المبارك ولم يعرف شكله.

والذى نذهب إليه والله تعالى أعلم: أنه بدأ التزاحم على الركن منذ ظهور الإسلام من عهد رسول الله، ﷺ، لما ورد فى تقبيله من الأحاديث، وقد أفرد الإمام الأزرقى، رحمه الله تعالى، فى تاريخه فصلا لذلك فقال: (الزحام على استلام الركن الأسود والركن اليمانى) فجاء فيه عن ابن عمر عن النبى، ﷺ، إنه كان لا يدع الركن الأسود والركن اليمانى أن يستلمهما فى كل طواف أتى عليهما، قال وكان لا يستلم الآخرين - أ هـ نقول والله تعالى أعلم، أن عدم استلام الركنين الآخرين « العراقى والشامى » كان لعدم وجودهما فى بناء قريش الكعبة فإنها بنت جدارها المقابل لحجر إسماعيل مدورا ليس فيه الركنان المذكوران كما كان ذلك فى عهد

إبراهيم، عليه الصلاة والسلام أيضا، فلما بنى ابن الزبير، رضى الله عنهما، الكعبة جعل لهذا الجدار ركنين «العراقى والشامى» فصار للكعبة أربعة أركان فلما بناها الحجاج جعلها كذلك.

وجاء فيه أيضا: أن ابن عمر، رضى الله عنهما، كان لا يدع الركنين «أى الركن الأسود والركن اليمانى» فى كل طواف طاف بهما حتى يستلمهما، لقد زاحم على الركن مرة فى شدة الزحام حتى رَعَفَ[1] فخرج فغسل عنه، ثم رجع فعاد يزاحم فلم يصل إليه حتى رعف الثانية فخرج فغسل عنه ثم رجع فما تركه حتى استلمه.

وجاء فيه أيضا: عن سالم بن عبدالله يقول أن عبدالله بن عمر كان لا يترك استلام الركنين فى زحام ولا غيره حتى رأيته زاحمنا عنه يوم النحر وإصابه دم فقال قد أخطأنا هذه المرة، وجاء فيه أيضا عن طلحة بن يحيى قال سألت القاسم بن محمد عن استلام الركن فقال استلمه وزاحم عليه يا ابن أخى فقد رأيت ابن عمر يزاحم عليه حتى يدمى، وجاء فيه أيضا: عن هشام بن عروة عن أبيه أن رسول الله، ﷺ، قال لعبدالرحمن ابن عوف كيف صنعت يا أبا محمد فى استلام الحجر، وكان قد استأذنه فى العمرة فقال كلا قد فعلت استلمت وتركت، فقال النبى ﷺ أصبت - انتهى كل ذلك من الأزرقى.

فعليه نرجو الله سبحانه وتعالى العفو والغفران فى ازدحام الحجاج وغيرهم على تقبيل الحجر الأسود خصوصا وأنهم يرضون بطيب خاطر بحصول الأذى لهم فى سبيل ذلك، وأنهم يعدون أنفسهم سعداء إذا فازوا

(١) أى: نزف الدم من أنفه.

بتقبيله وهو كذلك إن شاء الله، ففضل الله عظيم ورحمته واسعة.

(تنبيه) إن ما عمله عبدالله بن عمر، رضى الله عنهما، من محافظته على استلام الركنين فى كل طوفة طاف بهما وأنه لا يتركهما حتى فى شدة الزحام، هذه خصوصية له لا يطلب من أحد أن يزاحم على الركنين اقتداء به، فهو، رضى الله عنه، من أجلاء الصحابة له اجتهاده وعمله فإنه كان شديد المحافظة على كل ما سمعه من رسول الله، ﷺ، وتتبع أفعاله، فقد جاء فى زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم عند حديث « نعم الرجل عبد الله لو كان يصلى من الليل »، أن الزبير بن بكار قال كان ابن عمر يحفظ ما سمع من رسول الله، ﷺ، ويسأل من حضر إذا غاب عن قوله وفعله وكان يتبع آثاره فى كل مسجد صلى فيه وكان يعترض براحلته فى طريق رأى رسول الله، ﷺ، عرض ناقته فيه وكان لا يترك الحج وكان إذا وقف بعرفة يقف فى الموقف الذى وقف فيه رسول الله، ﷺ، وفى الزهد للبيهقى بسند صحيح ما ذكر ابن عمر رسول الله، ﷺ، إلا بكى ولا مر على ربعهم إلا غمض عينيه - فرجل هذا حاله يجب أن نعتبر بحالة رضى الله عنه وعن جميع الصحابة[1].

****

(١) محمد طاهر الكردى.. مصدر سابق ص٢٩٧ وما بعدها.. باختصار.

زيارة قبر المصطفى ﷺ، والمسجد النبوى

أ - فضل زيارة قبر الرسول ﷺ :

روى عن ابن عمر رضى الله عنه - مرفوعًا - أن النبى ﷺ قال : **«من حج فزار قبرى بعد موتى : كان كمن زارنى فى حياتى»**.

وعن عطاء، عن ابن عباس، رضى الله عنهم، أن النبى ﷺ، قال : **«من زارنى حتى انتهى إلى قبرى : كنت له يوما القيامة.. شهيداً، أو شفيعًا»**.

وروى ابن عدى والطبرانى، عن النبى ﷺ أنه قال : **«من حج البيت ولم يزرنى : فقد جفانى»**.

وعن أنس رضى الله عنه، مرفوعًا، أن النبى ﷺ، قال : **«من زارنى ميتًا : فكأنما زارنى حيًا، ومن زار قبرى : وجبت له شفاعتى يوم القيامة، وما من أحد من أمتى له سعة، ثم لم يزرنى : فليس له عذر»**.

ب - فضل زيارة المسجد النبوى الشريف :

روى البخارى ومسلم وأبو داود، عن أبى هريرة، رضى الله عنه، عن النبى ﷺ، أنه قال : **«لا تشد الرحال .. إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام، ومسجدى هذا، والمسجد الأقصى»**.

وروى أحمد بسند صحيح، عن جابر رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال : **«صلاة فى مسجدى : أفضل من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام، وصلاة فى المسجد الحرام : أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه»**.

وقد جاء فى الأحاديث: أن فضل الصلاة فى المسجد الأقصى: أفضل مما سواه من المساجد - غير المسجد الحرام والمسجد النبوى - بخمسمائة صلاة.

وروى أحمد والطبرانى بسند صحيح.. عن أنس بن مالك، رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: **«من صلى فى مسجدى أربعين صلاة، لا تفوته صلاة: كتبت له براءة من النار، وبراءة من العذاب، وبرئ من النفاق»**.

وعن أبى ذر، رضى الله عنه، قال: قلت يا رسول الله..!! أى مسجد وضع فى الأرض، أول..؟

قال: **المسجد الحرام**.

قلت: ثم أى..؟

قال: **المسجد الأقصى**.

قلت: كم بينها..؟

قال: **«أربعون سنة، ثم.. أين أدركتك الصلاة بعد.. فصل، فإن الفضل فيه»**.

جـ- من آداب الزيارة:

أ - يستحق: إتيان مسجد رسول الله ﷺ بالسكينة والوقار، وأن يكون متطيبًا بالطيب، متجملاً بأحسن الثياب.

ب - وينبغى عليه: أن لا يرفع صوته - خلال الزيارة - إلا بقدر ما يسمع نفسه، وعلى ولى الأمر أن يمنع من ذلك من يرفع صوته برفق، فقد

ثبت أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، رأى رجلين يرفعان أصواتهما فى المسجد النبوى، فقال: لو أعلم أنكما من البلد، لأوجعتكما ضربا.

جـ - كما ينبغى عليه: أن يتجنب التمسح بالحجرة الشريفة - أى القبر - والتقبيل لها، أو أى مكان آخر كذلك.

حيث إن ذلك مما نهى عنه رسول الله ﷺ.

فقد روى أبو داود.. عن أبى هريرة، رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: **«لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبرى عيداً، وصلوا علىّ، فإن صلاتكم تبلغنى حيث كنتم».**

د - طريقة الزيارة:

إذا نوى زيارة القبر الشريف فلينوا معه زيارة المسجد أيضًا، فإنه أحد المساجد التى تشد إليها الرحال.

وإذا توجه للزيارة يكثر من الصلاة والسلام على النبى ﷺ مدة الطريق، ويصلى فى طريقه من مكة إلى المدينة فى المساجد التى يمر بها.

وإذا عاين حيطان المدينة يصلى على النبى ﷺ، ويقول: «اللهم هذا حرم نبيك، فاجعله وقاية لى من النار، وأمانًا من العذاب، وسوء الحساب»، ويغتسل قبل الدخول وبعده إن أمكنه، ويتطيب ويلبس أحسن ثيابه ويدخلها متواضعاً عليه السكينة والوقار.

وإذا دخل المدينة يقول: (اللهم رب السموات وما أظللن، ورب الأرضين وما أقللن، ورب الرياح وما ذرين، أسألك خير هذه البلدة وخير

أهلها وخير ما فيها، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر أهلها، اللهم هذا حرم رسولك، فاجعل دخولي فيه وقاية لي من النار، وأمانًا من العذاب وسوء الحساب).

وإذا دخل المسجد فعل ما يفعله في سائر المساجد من تقديم رجله اليمنى، ويقول: اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد. اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك. اللهم اجعلني اليوم من أوجه من توجه إليك، وأقرب من تقرب إليك، وأنجح من أعال وابتغى مرضاتك.

ويصلي عند منبره ركعتين: ويقف بحيث يكون عمود المنبر بحذاء منكبه الأيمن، وهو موقفه عليه السلام، وهو بين القبر الشريف والمنبر، ثم يسجد شكرًا لله تعالى ما وفقه، ويدعو بما يحب.

ثم ينهض فيتوجه إلى قبره ﷺ، فيقف عند رأسه الشريف مستقبل القبلة، ثم يدنو منه ثلاثة أذرع، أو أربعة، ولا يدنو أكثر من ذلك، ولا يضع يده على جدار التربة، ويقف كما يقف في الصلاة، ويتمثل صورته الكريمة البهية كأنه نائم في لحده عالم به يسمع كلامه، ثم يقول: « السلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته، أشهد أنك رسول الله ، فقد بلغت الرسالة، وأديت الأمانة، ونصحت الأمة، وجاهدت في أمر الله، حتى قبض الله روحك حميداً محموداً، فجزاك الله عن صغيرنا وكبيرنا خير الجزاء، وصلى عليك أفضل الصلاة وأزكاها، وأتم التحية وأنماها، اللهم اجعل نبينا يوم القيامة أقرب النبيين، واسقنا من كأسه وارزقنا من شفاعته، واجعلنا من رفقائه يوم القيامة، اللهم لا تجعل هذا آخر العهد بقبر نبينا عليه السلام، وارزقنا العود إليه يا ذا الجلال والإكرام ».

ولا يرفع صوته ولا يخفضه كثيراً، ويبلغه سلام من أوصاه، فيقول: «السلام عليك يا رسول الله من فلان ابن فلان يستشفع بك إلى ربك، فاشفع له ولجميع المسلمين».

ثم يقف عند وجهه مستدبراً القبلة ويصلى عليه ما شاء، ويتحول قدر ذراع حتى يحاذى رأس الصديق رضى الله تعالى عنه، ويقول: السلام عليك يا خليفة رسول الله، السلام عليك يا صاحب رسول الله فى الغار، السلام عليك يا رفيقه فى الأسفار، السلام عليك يا أمينه فى الأسرار، جزاك الله عنا أفضل ما جزى إمامًا عن أمة نبيه، ولقد خلفته بأحسن خلف، وسلكت طريقه ومنهاجه خير مسلك، وقاتلت أهل الردة والبدع، ومهدت الإسلام، ووصلت الأرحام، ولم تزل قائمًا للحق ناصراً لأهله حتى أتاك اليقين، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته، اللهم أمتنا على حبه، ولا تخيب سعينا فى زيارته برحمتك يا كريم، ثم يتحول حتى يحاذى قبر عمر رضى الله عنه، ويقول: السلام عليك يا أمير المؤمنين، السلام عليك يا مظهر الإسلام، السلام عليك يا مكسر الأصنام، جزاك الله عنا أفضل الجزاء، ورضى الله عمن استخلفك، فقد نصرت الإسلام والمسلمين حيًا وميتًا، كفلت الأيتام، ووصلت الأرحام، وقوى بك الإسلام وكنت للمسلمين إمامًا مرضيًا، وهاديًا مهديًا، جمعت من شملهم، وأغنيت فقيرهم وجبر ت كسرهم السلام عليك ورحمة الله وبركاته، ثم يرجع قدر نصف ذراع فيقول: السلام عليكما يا ضجيعى رسول الله ورفيقيه، ووزيريه ومشاوريه، والمعاونين له على القيام فى الدين، القائمين بعده

بصالح المسلمين، جزاكما الله أحسن الجزاء، ثم يدعو لنفسه، ووالديه، ولمن أوصاه بالدعاء، ولجميع المسلمين.

ثم يقف عند رأسه الشريف كالأولى، ويقول: (اللهم إنك قلت وقولك الحق ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ٦٤] وقد جئناك سامعين قولك طائعين أمرك مستشفعين بنبيك، ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠]. ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١] ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢].

ويدعو بما يحضره من الدعاء.

ثم يأتى اسطوانة أبى لبابة التى ربط نفسه فيها حتى تاب الله عليه وهى بين القبر والمنبر - فيصلى ركعتين ويتوب إلى الله ويدعو بما شاء، ثم يأتى الروضة وهى كالحوض المربع، فيصلى فيها ما تيسر له ويدعو، ويكثر من التسبيح والثناء على الله تعالى والاستغفار، ثم يأتى المنبر فيضع يده على الرمانة التى كان ﷺ يضع يده عليها إذا خطب، لتناله بركة الرسول، ويصلى عليه ويدعو بما شاء، ويتعوذ برحمته من سخطه وغضبه، ثم يأتى الأسطوانة الحنانة، وهى التى فيها بقية الجذع الذى حن إلى النبى ﷺ حين تركه، وخطب على المنبر.

ويستحب بعد زيارته عليه السلام أن يخرج إلى البقيع، ويأتى المشاهد

والمزارات، فيزور العباس ومعه الحسن بن على، وزين العابدن، وابنه محمد الباقر، وابنه جعفر الصادق، ويزور أمير المؤمنين سيدنا عثمان، وقبر إبراهيم ابن النبى ﷺ، وجماعة من أزواج النبى ﷺ، وعمته صفية، وكثيراً من الصحابة والتابعين، خصوصاً سيدنا مالكًا، وسيدنا نافعًا.

ويستحب أن يزور شهداء أُحد، خصوصاً قبر سيد الشهداء سيدنا الحمزة، ويقول: ﴿سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤] سلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، ويقرأ آية الكرسى، وسورة الإخلاص.

ويستحب أن يأتى مسجد قباء ويدعو بقوله: يا صريخ المستصرخين، ويا غياث المستغيثين، ويا مفرج كرب المكروبين، ويا مجيب دعوة المضطرين، صل على محمد وآله، واكشف كربى وحزنى، كما كشفت عن رسولك كربه وحزنه فى هذا المقام يا حنان يا منان، يا كثير المعروف ويا دائم الإحسان يا أرحم الراحمين.

ويستحب له أن يصلى الصلاة كلها فى مسجد النبى ﷺ ما دام فى المدينة.

وإذا أراد الرجوع إلى بلده استحب له أن يودع المسجد بركعتين، ويدعو بما أحب، ويأتى قبر رسول الله ﷺ، ويدعو بما شاء، والله مجيب الدعاء.

****

ثانياً: كيفية الحج والعمرة

١- تمهيد.
٢- الإحرام.
٣- التلبية.
٤- طوافة القدوم.
٥- السعى بين الصفا والمروة.
٦- التروية.
٧- الوقوف بعرفات.
٨- البيت بمزدلفة.
٩- يوم النحر.
١٠- المبيت بمنى.
١١- طواف الوداع.
١٢- ختاماً.

***

تمهيـــد

وقبل أن يشرع الحاج ويبدأ فى أعمال الحج والعمرة، أو أعمال الحج وحده، أو العمرة وحدها، عليه:

أن يودع أهله، وإخوانه، ويذهب إليهم - إن لم يكونوا عنده - ويطلب دعاءهم، وكذلك:

أن يصلى ركعتين قبل الخروج من بيته.

ثم يقول: اللهم إليك توجهت، وبك اعتصمت، وعليك توكلت.

اللهم: أنت ثقتى وأنت رجائى.

اللهم: اكفنى ما أهمنى، وما لا أهتم به، وما أنت أعلم به منى، عز جارك، ولا إله غيرك.

اللهم: زودنى التقوى، واغفر لى ذنوبى، ووجهنى إلى الخير أينما توجهت، إنى أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب فى الأهل والمال.

وإذا خرج يقول:

باسم الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، توكلت على الله.

اللهم وفقنى لما تحب وترضى ، واحفظنى من الشيطان الرجيم، ويقرأ ... آية الكرسى، وسورة الإخلاص، والمعوذتين. وإذا ركب .. قال: باسم

الله، والحـــمـــد لله الذى هدانا للإســـلام، وعلـمنا القـــرآن، ومن علينا بمحمد ﷺ .

الحمد لله .. الذى جعلنى من خير أمة أخرجت للناس، ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ** ﴾ [الزخرف : ١٣ ، ١٤] والحمد لله رب العالمين ثم يبدأ فيما يلى :

****

الإحرام

وهذا أول شئ من أفعال الحج والعمرة، يبدأ به المرء[1].

وذلك – بالطبع – بعد أن قد هيأ نفسه بالمطالب الأولية التى ذكرناها سابقًا، واستحضر الذكريات الغالية التى أشرنا إليها – كذلك، والنتائج التى يرجو تحقيقها، فيما سبق.

والإحرام: نية أحد النسكين : الحج، أو العمرة، أو هما معًا.

وهو : ركن من أركان الحج، أو العمرة.. وذلك: لقوله تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾ [البينة: ٥] .

وأيضًا : لقول رسول الله ﷺ «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى**» [رواه: البخارى.. كتاب بدء الوحى، باب كيف كان بدء الوحى.. إلخ..؟]

ويكون هذا الإحرام: من الميقات، أى المكان المحدد لأهل كل ناحية من نواحى أرض الله.

حيث لا يجوز لأحد تجاوزها وتعديها لأداء الحج أو العمرة إلا محرمًا، ولو فعل.. كان عليه دم.

ويجوز الإحرام لمن أراد الحج أو العمرة من قبل أن يأتى إلى هذه

---

(١) مواد هذا الفصل... من كتاب «الفقة على المذاهب الأربعة... نشر: وزارة الأوقاف(الطبعة السابعة) وكتاب فقه السنة للشيخ سيد سابق. .

المواقيت، ولو كان ذلك من بيته ، مع الكراهه[1] .

وهذه المواقيت المكانية، كما بينها رسول الله ﷺ هي :

- لأهل المدينة، ومن مرَّ بها (ذا الحليفة) وهذا المكان الذى يعرف الآن بـ(أبيار على) وهو فى الشمال من مكة الكرمة، وبينه وبين مكة تقريبًا ٤٥٠ كم .

- ولأهل الشام ومصر، ومن مرَّ بهما (الجحفة) وهى قريبه من (رابغ) التى أصبحت أكثر شهرة، لذهاب معالم (الجحفة) وهى فى الشمال الغربى من مكة المكرمة، وبينه وبين مكة تقريبًا ٢٠٤ كم .

- ولأهل العراق، ومن مرَّ بها (ذاتُ عِرْق) وهو موضع فى الشمال الشرقى من مكة المكرمة، وبينه وبين مكة تقريبًا ٩٤ كم .

- ولأهل نجد، ومن مربها (قَرْن المنازل) وهو جبل شرقى مكة المكرمة، يطل على عرفات وبينه وبين مكة المكرمة تقيربًا ٩٤ كم .

ولأهل اليمن، ومن مر بهما (يَلَمْلَم) وهو جبل يقع جنوب مكة المكرمة، وبينه وبين مكة تقريبًا ٥٤ كم .

ويلاحظ : أن هذه المواقيت لأهل هذه البلاد، ومن مر بها من غيرها .

- وأما أهل مكة : فميقاتهم .. منازلهم التى بمكة .

- ومن كان بينه بين الميقات ومكة : فميقاته من منزله كذلك .

---

(١) سيد سابق .. فقة السنة ١ / ١٥٥ .

– ومن أراد العمرة، وهو بمكة: فميقاته الحِلّ، حيث يخرج إليه، ويحرم منه، وأقرب الحل «التنعيم»

هذا..

وللإحرام آداب ينبغي مراعاتها، وهى :

١– النظافة.

قال ابن عمر رضى الله عنه: من السنة: أن يغتسل المرء للإحرام، وإذا أراد دخول مكة.

ومن النظافة تقليم الأظافر، ونتف الابط، وحلق العانة، .. إلخ.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما: أن النبى ﷺ قال: إن النفساء والحائض: تغتسل وتحرم، وتقضى المناسك كلها، غير أنها لاتطوف بالبيت حتى تطهر» [رواه : أبو داود، والترمذى – وحسنه – و أحمد فى المسند)

٢– التجرد من الثياب المخيطة، ولبس ثوب الإحرام.

٣– التطيب فى البدن والثياب.

تقول السيدة عائشة «كنا نخرج مع رسول الله ﷺ إلى مكة، فتنضح جباهنا بالمسك عند الإحرام، فإذا عرقت إحدانا : سال على وجهها، فيراه النبى ﷺ، فلا ينهانا [رواه : أبو داود، وأحمد]

٤– صلاة ركعتين، ينوى فيهما سنة الإحرام.

وتجزئ الصلاة المكتوبة عنهما.

ويباح للمحرم:

الاغتسال – كلما أراد – وتغيير ملابس الإحرام بغيرها.

تغطية وجهه من غبار أو رماد عند هياج الريح.

لبس الخفين للمرأة.

تغطية رأسه ناسيا.

حك رأسه، أو جلده.

النظر فى المرآة، والتسوق، وشم الروائح الطبية من غير قصد.

التظلل من الشمس بمظلة، أو بسقف، أو غيره .

ولا يباح للمحرم :

الجماع ودواعيه، من القبلة واللمس لشهوة، والحديث حول هذه الموضوعات.

اكتساب السيئات.

المخاصمة مع الرفقاء، والباعة، وغيرهم.

لبس المخيط للرجال، دون النساء: فلهن لبس المخيط دون حرج. وبذلك: يكون الاحرام.. قد اتضح تماماً.

وبعدها: نبين – بعون الله تعالى – التلبية.

فإلى بيان «التلبية».

****

التلبيـــة

عن ابن عـمر رضى الله عنهمـا . . أن تلبية رسـول الله ﷺ « لبيك اللهـم لبـيك، لبـيك لا شـريك لك لبـيك، إن الحـمـد والنعـمـة لك، والملك، لا شريك لك » .

وقد أجمع العلماء على أن هذه التلبية مشروعة .

ومعناها : إجابة نداء الله تعالى لك .

فارج أن تكون مقبولا ، حتى لا يقال لك « لا لبيك ولا سعديك » وكن بين الرجاء والخوف ، متبرءاً من حولك وقوتك ، معتمدا على فضل الله وكرمه .

ويستحب الاقتصار على ما ورد عن النبى ﷺ فى صيغتها ، واختلف العلماء فى الزيادة عليها .

ويستحب الجهر بها للرجال ، وأما المرأة : فتسمع نفسها فقط ، دون أن ترفع صوتها .

عن زيد بن خالد . . أن النبى ﷺ ، قال « جاءنى جبريل ، عليه السلام ، فقال : مر أصحابك فليرفعوا أصواتهم بالتلبية ، فإنها من شعائر الحج » [رواه ابن ماجه ، وأحمد ، وابن خزيمة ، والحاكم ، وقال صحيح الإسناد] .

ويستحب كذلك التلبية : فى جميع الأحوال والأوقات ، عند الركوب والنزول ، وفى دبر كل صلاة ، وفى الأسحار ، وغير ذلك .

ولهذه التلبية فضل عظيم.

فعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما.. أن النبى ﷺ قال: ما من محرم يظل يومه يلبى حتى تغيب الشمس، إلا غابت ذنوبه، فعاد كما ولدته أمه» [رواه: ابن ماجه].

وعن سهل بن سعد.. أن النبى ﷺ، قال: ما من مسلم يلبى.. إلا لبى من عن يمينه وشماله: من حجر، أو شجر، أو مدر - أى الحصى - حتى تنقطع الأرض من ها هنا وها هنا» [رواه الترمذى، وابن ماجه، والبيهقى، والحاكم وصححه].

ويلاحظ: أن بدأ وقت التلبية: من ساعة الإحرام.. بحج، أو بعمرة، أو بهما.

ونهاية وقتها: للمحرم بحج.. إلى رمى جمرة العقبة يوم النحر؛ حيث يكف عن التلبية عند أول حصاة؛ فإن النبى ﷺ: لم يزل يلبى حتى بلغ جمرة العقبة، كما رواه الجماعة.

وأما بالنسبة للمحرم بعمرة.. فإنه يلبى حتى يستلم الحجر الأسود، عند بدء الطواف، فعن ابن عباس رضى الله عنهما.. «أن النبى ﷺ.. كان يمسك عن التلبية فى العمرة: إذا استلم الحجر» [رواه الترمذى، وقال: حديث حسن صحيح].

وبذلك: تكون التلبية قد اتضحت تماما.

وبعدها: نبين بعون الله تعالى الطواف.

فإلى بيان: الطواف وأحكامه

طواف القدوم

ومن الطبيعى : أنه سيدخل مكة . . زادها الله شرفًا وعزاً .

ويستحب لدخولها .

أن يغتسل .

وأن يبادر إلى البيت بعد أن يدع أمتعتة فى مكان إقامته .

وأن يدخل من باب السلام إن أمكن - فى أدب وخشوع وضراعة، وهو يقول : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، اللهم اغفر لى ذنبى، وافتح لى أبواب رحمتك، أنت السلام، ومنك السلام، وإليك يعود السلام، فأحيينا ياربنا على السلام، وحيينا بالسلام .

وأن يرفع يديه - إذا أبصر الكعبة المشرفة - وقال « اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيمًا وتكريمًا ومهاب، وعزا، وزد من شرفه وكرمه وعظمه ممن حجه أو اعتمره، تشريفًا وتكريمًا، وتعظيمًا وبرًّا » .

ثم يقصد إلى الحجر الأسود، فيقبله إن أمكن، وإلا استلمه بيده فقط وقبله، وإن عجز : إشار إليه بيده، كل ذلك دون مزاحمة تؤذى الغير، أو يؤذى بها نفسه .

ثم يقف بحذائه، ويبدأ فى الطواف حول البيت .

ويلاحظ : أنه لا يصلى تحية المسجد كما فى المساجد الأخرى، حيث إن تحيته الطواف، إلا إذا كانت الصلاة المكتوبة مقامة : فيصليها مع الإمام،

ثم يذهب للطواف راجيًا رحمة الله وفضله، يقول ﷺ « ينزل الله كل يوم على حجاج بيته الحرام عشرين ومائة رحمة، ستين للطائفين، وأربعين للمصلين، وعشرين للناظرين » [رواه البيهقي – بإسناد حسن – عن ابن عباس رضى الله عنهما].

وكيفية الطواف.. كما يلى:

يبدأ طوافه من عند الحجر الأسود، جاعلا البيت عن يساره ثم يطوف، قائلا: بسم الله، والله أكبر، اللهم..!! إيمانًا بك، وتصديقًا بكتابك، ووفاءً بعهدك، واتباعًا لسنه نبيك ﷺ » . وهكذا : سبعة أشواط.

ويستحب له فى الطواف:

أن يَرْمُل – أى يسرع الخطا المتقاربة فى المشى – فى الأشواط الثلاثة الأول، ثم يمشى عاديًا فى الأشواط الأربعة الباقية، فإن لم يمكنه الرمل: فلا شئ عليه.

أن يقبل الحجر الأسود، أو يستلمه، فى كل شوط، فإن لم يتمكن: أشار إليه بيده.

أن يستلم الركن اليمانى كذلك – دون تقبيل – فى كل شوط، إن أمكن ذلك.

أن يكثر من الذكر والدعاء، بما ينشرح له صدره، ويتيسر له حفظه، دون التزامه بذكر معين؛ حيث لم يحفظ عن النبى ﷺ فى ذلك شئ.

أن يقول بين الركن اليمانى والحجر (ربنا آتنا فى الدينا حسنة وفى

الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) [رواه: أبو داود والشافعى].

فإذا فرغ من الأشواط السبعة: صلى ركعتين، عند مقام إبراهيم عليه السلام تاليًا ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ [البقرة: ١٢٥].

وبهذا ينتهى الطواف.

فإن كان الطائف.. مفردا بالحج: سمى هذا الطواف.. طواف القدوم، أو طواف التحية، أو طواف الدخول ، وهو ليس بركن، ولا بواجب.

وإن كان الطائف.. قارنا، أو متمتعًا: كان هذا الطواف.. طواف العمرة – وهو يجزىء عن طواف التحية – وعليه أن يستكمل عمرته، فيسعى بين الصفا والمروة.

وينبغى للحاج والمعتمر: أن يغتنم فرصة وجوده بمكة: ويكثر من الطواف، والصلاة فى المسجد الحرام؛ حيث إن الصلاة فيه: خير من مائة ألف صلاة فيما سواه من المساجد.

وللطواف حول البيت شروط وأداب.. منها:

الطهارة: من الحدث الأصغر والأكبر، وأى نجاسة.

ستر العورة.

أن يكون سبعة أشواط كاملة.

أن يكون البيت عن يساره حال الطواف.

أن يكون الطواف خارج البيت، يعنى خارج حجر اسماعيل عليه السلام.

موالاة السعى.. يعنى : أن يكون متتابعًا، إلا لعذر، أو لفاصل يسير.

أن يستقبل الحجر الأسود عند بدء الطواف، مع الكبير والتهليل ورفع اليدين، وكلما مر به خلال الطواف.

هذا...

وأعلم أنك بالطواف تشبه بالملائكة المقربين، الحافين حلو العرش، الطائفين حوله، فطف بقلبك لا بجسمك.

وأنواع الطواف حول البيت أربعة، هى :

طواف القدوم.

طواف الإفاضة.

طواف الوداع.

طواف التطوع.

وبذلك: يكون الطواف معلومًا تماما.

وبعده : يكون السعى بين الصفا والمروة.

فإلى بيان السعى بين الصفا والمروة.

****

السعى بين الصفا والمروة

وأصل مشروعيته : ما كان من فعل السيدة « هاجر» عندما تركها « إبراهيم » عليه السلام مع وليدها « إسماعيل » عليه السلام، بهذا المكان، ونفذ منها الماء، وقامت تسعى بين الجبلين « الصفا والمروة » بحثا عن الماء، حتى نبع ماء زمزم.

يقول ابن عباس رضى الله عنهما : قال النبى ﷺ « فلذلك : سعى الناس بينهما ».

قالت عائشة : « وقد سن رسول الله ﷺ الطواف بينهما، فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما.

ومع التسليم بأن السعى بين الصفا والمروة ركن من أركان العمرة..

فقد اختلف العلماء فى حكمه بالنسبة للحج، هل هو : ركن من أركان الحج، أى يبطل الحج بدونه، ولا يجبر بدم.

أو هو : سنة، لا يجب بتركه شئ.

أو هو : واجب ، وليس بركن، لا يبطل الحج بدونه، وإذا تركه يجبر بدم.

وهو إختلاف : لا يتسع له المقام، ولا يؤثر على صحة الحج وتمام الأداء، ما دام كل رأى له دليله[1].

---

(١) من أراد التوسع : فعليه يكتب الفقة، وأيضاً فقه السنة ١ /٥٩٩ .

والذى يعنينا هنا: بيان شروط صحة السعى وهى:

أن يكون بعد طواف.

أن يبدأ بالصفا ويختم بالمروة.

أن يكون سبعة أشواط.

أن يكون السعى فى المسعى، أى فى الطريق الممتد بين الصفا والمروة، فى الدور الأرضى، أو العلوى، أو السطح، بلا تفرقة.

وذلك: لفعل رسول الله ﷺ. ذلك، ولقوله عليه الصلاة والسلام «خذوا عنى مناسككم».

- ويستحب لمن يسعى بين الصفا والمروة أن يلصق قدمه بجبلى الصفا والمروة، كلما وصل إلى واحد منهما.

الصعود - قدر الإمكان - على جبلى الصفا والمروة كلما وصل إلى واحد منهما، والدعاء عليهما - مع استقبال القبلة - بما شاء من الأدعية.

- ويستحب أن تكون على طهارة، إلا الحائض والنفساء، فلها أن تسعى دون طهارة.

- ويندب المشى بين الصفا والمروة، فيما عدا ما بين الميلين الأخضرين، حيث يندب الرَّمَل بينهما فى كل شوط فى الأشواط السبعة.

وبهذا السعى بين الصفا والمروة..!!

تنتهى أعمال العمرة.

ويحل المحرم من إحرامه بالحلق أو التقصير.. إن كان معتمراً فقط، أو كان متمتعًا.

ويبقى على إحرامه من كان قارنًا بين الحج والعمرة، أو كان مفردا بالحج فقط، ولا يحل إلا يوم النحر، بعد الرمى، أو بعد طواف الإفاضة.

ويكفيه هذا السعى عن السعى بعد طواف الإفاضة... ان كان قارنًا، أو مفرداً.

ويسعى مرة أخرى، بعد طواف الأفاضة.. إن كان متمتعًا.

وبعد تمام هذا السعى يبقى مقيما بمكة حتى يوم التروية، وهو اليوم الثامن من ذى الحجة.

المتمتع: يبقى بغير إحرام.

والقارن، والمفرد: يبقى كل منهما باحرامه.

وبذلك: يكون السعى بين الصفا والمروة، واضحًا غاية الوضوح.

وبعده : يكون الحديث عن يوم التروية.

فإلى : بيان يوم التروية وما فيه من أحكام وأفعال.

****

التروية

ويسن للحجاج – في اليوم الثامن من ذى الحجة – التوجه إلى منى للمبيت بها فى ذلك اليوم.

فإذا كان المرء قارنًا، أو مفرداً: توجه إليها بإحرامه، الذى ظل فيه منذ أن دخل فيه.

وإن كان متمتعًا: أحرم بالحج، من المكان الذى هو فيه بمكة، يفعل فى إحرامه ما فعله فى إحرامه السابق قبل أن يتحللْ منه.

هذا..

ولو ذهب إلى «منى» قبل اليوم الثامن: لا حرج عليه.

وأيضًا: لو لم يذهب إلى منى، وظل بمكة، أو ذهب مباشرة إلى «عرفات».. لا حرج عليه أيضًا.

فإن السيدة عائشة رضى الله عنها: لم تخرج من مكة «يوم التروية» حتى دخل الليل، وذهب ثلثة، كما روى ذلك ابن المنذر.

ويستحب: الإكثار من.. الدعاء، والتلبية، عند التوجه إلى منى، وبها أيضًا.

كما يستحب: صلاة الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، والمبيت بها، وصلاة فجر يوم التاسع، ثم يخرج منها – متوجهًا إلى عرفات – بعد طلوع

شمس اليوم التاسع؛ اقتداءً بالنبى ﷺ .

وبذلك : تكون عمال يوم التروية قد تمت .

وبعدها :يتوجه الحاج إلى عرفات الله فإلى عرفات .

****

الوقوف بعرفات

وهذا: هو الركن الأعظم فى الحج.

وذلك: لقول النبى ﷺ «الحج: عرفة».

ويرى جمهور العلماء: أن وقت الوقوف بعرفات يبدأ من زوال اليوم التاسع، إلى طلوع فجر اليوم العاشر من ذى الحجة، وأنه يكفى الوقوف فى أى جزء – من هذا الوقت – ليلاً أو نهاراً.

ولكن إذا وقف بالنهار.. وجب عليه البقاء حتى يمر جزء من الليل بعد المغرب، وإما إذا وقف بالليل: فيكفيه ذلك، ولا شىء عليه.

ومن رحمة الله تعالى.. أن من حضر ووجد فى عرفات فى هذا الوقت، أو أى جزء منه، سواء كان نائمًا أو يقظان، راكبًا أو ماشيًا، طاهرًا أو غير طاهر، كالحائض والنفساء والجنب صح حجه، وسقطت عنه الفريضة.

ويستحب فى يوم عرفة.

الإكثار من التكبير، والتهليل ، والتلبية.

والنزول بنمرة، والاغتسال عندها – إن أمكن – للوقوف بعرفة.

وأن لا يدخل عرفة إلا بعد الزوال.

وأن يقف عند الصخرات – أسفل جبل الرحمة – أو قريبًا منها، حسب الإمكان.

والإفطار – أى عدم الصوم – فى يوم عرفة؛ ليتقوى على الذكر، والدعاء.

وينبغى:

أن يجمع بين الظهر والعصر قصراً، يوم عرفة ، مع الإمام.

فإن لم يتمكن مع الإمام: يجمع منفرداً.

يؤذن .. ثم يقيم فيصلى الظهر، ثم يقيم فيصلى العصر، وفى الحديث الصحيح: «أن النبى ﷺ جمع بين الظهر والعصر بعرفة».

كما ينبغى:

أن يحافظ على الطهارة الكاملة.. طيلة هذا اليوم.

وأن يستقبل القبلة، ويكثر من الاستغفار والذكر والدعاء لنفسه، ولغيره، بما شاء من أمر الدين والدنيا والآخرة، مع الخشية، وحضور القلب، والإخلاص، والإلحاح فى الدعاء، ورفع اليدين.

قال أسامة: «كنت ردف النبى ﷺ بعرفات، فرفع يديه يدعو» [رواه: النسائى].

وكان أكثر دعاء النبى ﷺ يوم عرفة :

«لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملك، وله الحمد، بيده الخير، وهو على كل شىء قدير» [رواه: الترمذى، وأحمد].

وعن على رضى الله عنه ، قال: قال رسول الله ﷺ : «إن أكثر دعاء من قبلى من الأنبياء، ودعائى يوم عرفة.. أن أقول:

« لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملك ، وله الحمد ، هو على كل شيء قدير.

اللهم .. اجعل فى بصرى نوراً، وفى سمعى نوراً، وفى قلبى نوراً.

اللهم .. اشرح لى صدرى، ويسر لى أمرى.

اللهم .. أعوذ بك من وسواس الصدر، وشتات الأمر، وشر فتنة القبر، وشر ما يلج فى الليل، وشر ما يلج فى النهار، وشر ما تهب به الرياح، وشر بوائق – أي : مهلكات – الدهر» [رواه : البيهقى].

وعنه عن النبى ﷺ – كذلك – قال: أكثر دعاء النبى ﷺ فى الموقف:

« اللهم .. !! لك الحمد كالذى نقول، وخيراً مما نقول.

اللهم .. !! لك صلاتى، ونسكى، ومحياى، ومماتى، إليك مآبى، ولك تراثى ».

اللهم ..!! إنى أعوذ بك من عذاب القبر، ووسوسة الصدر، وشتات الأمر.

اللهم ..!!

إنى أعوذ بك من شر ما تهب به الريح » [رواه : الترمذى]

وفى ختام يوم عرفة، وبعد غروب شمس اليوم التاسع من ذى الحجة: يكون انصراف الناس من عرفة، متوجهين إلى « مزدلفة ».

وهو ما يسمى بـ« الإفاضة ».

ويسن الإفاضة، بعد الغروب، فى سكينة وهدوء، وخشوع لله رب العالمين، والسير برفق وأناة، وتجنب الزحام، والبعد عن إيذاء الآخرين، ومساعدة الضعفاء والمحتاجين للعون والمساعدة.

وقد أفاض النبى ﷺ بالسكينة، بعد الغروب، متوجهًا إلى « مزدلفة » وهو يقول: « أيها الناس: عليكم بالسكينة، فإن البر.. ليس فى الإسراع » [رواه: البخارى].

ويستحب – فى حال الإفاضة هذه – الذكر والتلبية.

حيث إن النبى ﷺ: لم يزل يلبى حتى رمى جمرة العقبة.

وبذلك: تكون أعمال يوم عرفة قد تمت.

وبعدها: يتوجه الحاج إلى « مزدلفة ».

فإلى مزدلفة..

****

المبيت بالمزدلفة

فإذا وصل الحاج - بتوفيق الله - إلى مزدلفة: كان عليه ما يلى:

١- أن يصلى المغرب والعشاء، قصراً، وجمعًا.

٢- أن يضطجع ويستريح، نائمًا أو غير نائم، حتى يطلع الفجر، وليس عليه أن يحيى هذه الليلة بذكر أو صلاة، أو غيرها؛ حيث لم يثبت ذلك عن النبى ﷺ.

وهذا المبيت: واجب، إلا على أصحاب الأعذار، ومن وراءهم مصالح ضرورية.

٣- أن يصلى الفجر بمزدلفة فى أول وقتها.

٤- أن يقف بالمشعر الحرام إلى أن يسفر الصبح، وهو يدعو الله ويذكره، لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (١٩٨) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٩٨ - ١٩٩].

٥- ثم يفيض متوجهًا من مزدلفة إلى منى قبل طلوع الشمس.

وعليه - خلال ذلك - إذا أتى «وادى محسّر» - وهو بين مزدلفة ومنى، سار مسرعًا؛ حيث إنه المكان الذى نزل فيه عذاب الله تعالى على أصحاب الفيل.

وبذلك : تكون أعمال مزدلفة قد تمت.

وبعدها : يكون الحاج .. قد دخل فى يوم النحر.

فإلى يوم النحر..

****

يوم النحر

وفيه:

* رمى جمرة العقبة.

* الذبح.

* الحلق أو التقصير.

* طواف الإفاضة.

* * *

وهو اليوم العاشر من ذى الحجة.

وأعمال هذا اليوم: كثيرة، نجملها فيما يلى:

١ – رمى جمرة العقبة بمنى.

٢ – ثم الذبح.

٣ – ثم الحلق.

٤ – ثم طواف الإفاضة، ويسمى كذلك: طواف الزيارة.

وهى تؤدى على هذا الترتيب المذكور.

ولو خالف الحاج هذا الترتيب.. فقدم نسكًا على غيره: فلا شىء عليه، عند أكثر أهل العلم، وذلك لحديث عبد الله بن عمر، رضى الله عنه، أنه قال: وقف النبى ﷺ، فى حجة الوداع بمنى، والناس يسألونه.

فجاء رجل، فقال: يا رسول الله..!! إنى لم أشعر - أى لم أنتبه - فحلقت قبل أن أنحر؟

فقال رسول الله ﷺ: **«اذبح ولا حرج»**.

ثم جاء آخر، فقال: يا رسول الله..!! إنى لم أشعر، فنحرت قبل أن أرمى؟

فقال رسول الله ﷺ: **ارم ولا حرج**.

قال: فما سئل رسول الله ﷺ، عن شيء قدم ولا أخر، إلا قال: **«افعل ولا حرج»**.

بيد أن الإمام أبا حنيفة، رضى الله عنه، يرى أن قول النبى ﷺ: **«ولا حرج»** رفع الإثم، دون الفدية.

ولهذا: يرى أن من خالف الترتيب المذكور، بأن قدم شيئًا على آخر، أو أخره.. فعليه: دم.

وقبل شرح أعمال يوم النحر هذه: يطيب لنا أن نبين أنه..

برمى المحرم جمرة العقبة يوم النحر، والذبح - إن كان معه هدى - وحلق الشعر، أو قصره، ثم طاف طواف الإفاضة، وهو ركن من أركان الحج، حل له ما كان محرمًا عليه حال الإحرام، حتى النساء.. وهذا هو التحلل الثانى، أو التحلل الأكبر، أو التحلل الأخير.

* * *

وتعالوا بنا - أعزكم الله - إلى بعض التوضيح والتفصيل المفيد لهذه الأعمال التى تتم فى يوم النحر هذا.

وهى على النحو التالى:

رمى جمرة العقبة، والجمار، بمنى

ويرمى الحاج - بعد انصرافه من مزدلفة، ووصوله إلى منى - جمرة العقبة.. بسبع حصيات، مثل: الخذف، أو حبة الفول، يعنى: أكبر من حبة الحمص، ودون حبة البندق.

ويؤخذ الحصى: من «المزدلفة» أو من أى مكان آخر.

ولا يرمى الحاج يوم النحر سوى: جمرة العقبة فقط، وهى الجمرة الثالثة والأخيرة، من جهة مكة المكرمة.

ويقف الحاج حين الرمى بحيث تكون مكة على يساره، وجهة عرفات على يمينه.

وعند رمى أول حصاة: يقطع الحاج تلبيته، ثم يكبر مع كل حصاة.

ويستحب إذا فرغ من تلبيته: أن يصلى على النبى ﷺ، ويسأل الله مغفرته ورضوانه، دون أن يقف.

ورمى الجمال: واجب، وليس بركن من أركان الحج، يعنى: لو تركه المرء.. حجه صحيح، ولكن عليه دم.

ويؤخذ الحصى لهذا الرمى: من المزدلفة، أو أى مكان آخر.

وأصل مشروعية الرمى:

ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما: «أن النبى ﷺ قال: لما أتى إبراهيم عليه السلام المناسك..

عرض له الشيطان.. عند جمرة العقبة: فرماه بسبع حصيات، حتى ساخ فى الأرض.

ثم عرض له.. عند الجمرة الثانية: فرماه بسبع حصيات، حتى ساخ فى الأرض.

ثم عرض له.. عند الجمرة الثالثة: فرماه بسبع حصيات؛ حتى ساخ فى الأرض.

قال ابن عباس: الشيطان.. ترجمون، وملة أبيكم.. تتبعون.

[رواه ابن خزيمة فى صحيحه، والحاكم وقال: صحيح على شرطهما]

وأما حكمة هذا الرمى:

ففى الإحياء.. للإمام الغزالى:

وأما رمى الجمار.. فليقصد الرامى به: الانقياد للأمر، وإظهاراً للعبودية، وانتهاضا لمجرد الامتثال، من غير حظ للنفس والعقل فى ذلك.

ثم ليقصد أيضا به: التشبه بإبراهيم عليه السلام، حيث عرض له إبليس اللعين، فى هذا الموضع، ليدخل على حجة شبهة، أو يفتنه بمعصية.. فأمره الله عز وجل: أن يرميه بالحجارة، طرداً له، وقطعا لأطماعه.

فإن خطر لك أيها المسلم: أن الشيطان عرض لإبراهيم عليه السلام وشاهده، فلذلك: رماه، وأما أنا.. فليس يعرض لى الشيطان، ولا أراه..!!

فـأعلـم أن هذا الخـاطر: من الشـيطان، وأنه هو الذى ألقـاه فى قلبك؛ ليَـفْـتَـرَّ عـزمك فى الرمى، ويخيل إليك أنه: لا فـائدة فـيـه، وأنه يضـاهى اللعب، فلم تشتغل به؟ فاطرده عن نفسك بالجد والحزم فى الرمى.

إذْ بذلك: ترغم أنف الشيطان.

وأعلم: أنك فى الظاهر.. ترمى الحصى فى العقبة، وفى الحقيقة: ترمى به وجه الشيطان، وتقصم ظهره.

حيث لا يحصل إرغام أنفه.. إلا: بامتثالك أمر الله سبحانه وتعالى؛ تعظيما له، بمجرد الأمر من غير حظ للنفس والعقل فيه(١).

وعدد الحصى الذى يرمى به:

تسع وأربعون حصاة.. لمن تعجل فى يومين.

وسبعون حصاة.. لمن جلس فى منى أيام التشريق.

فى يوم النحر: يرمى جمرة العقبة بسبع حصيات.

وفى اليـوم الأول من أيام التـشـريق: وهو اليـوم الحـادى عـشـر من ذى القعدة: يرمى بإحدى وعشرين حصاة، موزعة على الجمرات الثلاث.. الصغرى: سبع، والوسطى: سبع، والكبرى: سبع.

وفى اليوم الثانى عشر: هكذا.

ومن لـم يتـعـجل: يرمى فى اليـوم الثـالـث عـشـر.. بإحـدى وعـشـرين، كذلك.

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين ١ / ٣٥٣.

وعلى هذا.. فأيام الرمى: ثلاثة لمن تعجل، وأربعة لمن لم يتعجل.

يوم النحر، ويومان بعده.. لمن تعجل.

أو يوم النحو، وثلاثة بعده.. لمن لم يتعجل.

يقول تعالى: ﴿ **وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ** ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

ووقت الرمى:

- والوقت المختار للرمى يوم النحر: وقت الضحى بعد طلوع الشمس؛ حيث إن رسول الله ﷺ .. رمى ضحى يوم النحر.

ويجوز لأصحاب الأعذار، والنساء، والصبيان، وضعفاء الناس: تقديم هذا الرمى من بعد نصف ليلة النحر.

فعن عائشة رضى الله عنها: «**أن النبى ﷺ أرسل أم سلمة ليلة النحر، فرمت قبل الفجر، ثم أفاضت**» [رواه: أبو داود، والبيهقى وقال: إسناده صحيح].

كما يجوز تأخير الرمى - لعذر - ويكره بدون عذر - إلى الليل من يوم النحر.

عن نافع: أن ابنة لصيفة امرأة ابن عمر نفست بالمزدلفة، فتخلفت هى وصفية، حتى أتتا منى بعد أن غربت الشمس من يوم النحر، فأمرهما ابن عمر، أن ترميا جمرة العقبة، حين قدمتا، ولم ير عليهما شيئًا. [رواه: مالك].

وقال ابن عباس رضى الله عنه - كذلك - «كان النبى ﷺ يوم النحر بمنى، فقال رجل: رميت بعد ما أمسيت» فقال ﷺ: «لا حرج» [رواه: البخارى].

هذا..

- والوقت المختار للرمى فى أيام التشريق: يبدأ من الزوال حتى الغروب؛ حيث إن النبى ﷺ: رمى الجمار، عند زوال الشمس، أو بعد الزوال.

واتفق أئمة المذاهب: على أنه إذا أخر الحاج الرمى إلى الليل، حتى ما قبل طلوع شمس الغد.. أجزأه، مع الكراهة، ولا شيء عليه.

ويستحب الوقوف والدعاء بعد الرمى فى أيام التشريق، سوى جمرة العقبة، فإنه لا يقف بعدها.

يعنى: كل رمى بعده رمى: يقف عنده، مستقبلا القبلة، داعيًا الله، وحامداً له، مستغفراً لنفسه وللمؤمنين.

وكل رمى ليس بعد رمى: لا يقف عنده.

فعن سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه، رضى الله عنهم: أن رسول الله ﷺ، كان إذا رمى الجمرة الأولى(١)، التى تلى المسجد - أى: مسجد الخيف - رماها بسبع حصيات، ثم ينصرف ذات اليسار - قليلاً - إلى بطن الوادى، فيقف مستقبلاً القبلة، رافعًا يديه، ويدعو، وكان يطيل الوقوف.

---

(١) أى: الجمرة الصغرى.

. ثم يرمى الثانية[1] بسبع حصيات، يكبر مع كل حصاة، ثم ينصرف ذات اليسار، إلى بطن الوادى، فيقف، ويستقبل القبلة، رافعًا يديه.

ثم يمضى .. حتى يأتى الجمرة التى عند العقبة[2]: فيرميها بسبع حصيات، يكبر عند كل حصاة.

ثم ينصرف، لا يقف. [رواه: البخارى].

ومن المعلوم: أنه تجوز النيابة فى الرمى.

أى: يجوز لمن عنده عذر.. أن ينيب غيره ليرمى عنه، ولا شىء عليه فى ذلك.

قال جابر رضى الله عنه: «حججنا مع رسول الله ﷺ، ومعنا النساء والصبيان، فلبينا عن الصبيان، ورمينا عنهم» [رواه: ابن ماجه].

وبعد أن تم الكلام على رمى جمرة العقبة، التى تكون فى يوم النحر.

وبعد أن أتبعنا ذلك بالحديث عن رمى الجمرات فى أيام التشريق.

يكون الكلام على الذبح فى يوم النحر، على النحو التالى.

****

(١) أى الوسطى، وهى تبعد عن الصغرى بمقدار ١٥٦,٤ مترًا.

(٢) وهى تبعد عن الوسطى بمقدار ١١٦,٧٧ مترًا.

الذبــح

وفى يوم النحر، وبعد أن يرمى الحاج « جمرة العقبة » عليه أن يذبح ما يهدى من النَّعم – وهى الإبل، أو البقر، أو الغنم – للحرم؛ تقربًا لله تبارك وتعالى.

وذلك: لقوله تعالى: ﴿ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٣٦) لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الحج: ٣٦، ٣٧].

وأقل ما يجزئ عن الفرد: شاة، أو سُبْع بدنة، – أى: جمل –، أو سبع بقرة، لقول جابر بن عبد الله رضى الله عنه: « حججنا مع رسول الله ﷺ: فنحرنا البعير عن سبعة، والبقرة عن سبعة » [رواه: مسلم].

وهذا الهدى: ينقسم باعتبار حكمه إلى: مستحب، وواجب.

فالمستحب من الهدى: يكون بالنسبة.. للحاج المفرد، والمعتمر المفرد.

والهدى الواجب: يكون على من:

أ – ترك واجبًا من واجبات الحج.. مثل: الإحرام من الميقات، أو الجمع بين الليل والنهار فى الوقوف بعرفة، أو المبيت بمزدلفة، أو رمى الجمار، أو طواف الوداع.

ب – أو فعل جناية فى الحرم، مثل: قطع شجرة، أو التعرض لصيده.

جـ – أو ارتكب محظوراً من محظورات الإحرام غير الوطء، مثل: التطيب وهو محرم، أو الحلق وهو محرم.

وأما الوطء وهو محرم: فعليه بدنة كاملة.

ء– كما يكون واجبا على.. القارن، والمتمتع.

وبالنسبة لوقت ذبح الهدى: فهو يوم النحر، وأيام التشريق الثلاثة، وحكى عن البعض .. حتى آخر ذى الحجة.

وبذلك: تنتهى مدة الذبح إلا إذا كان واجبا وفاته هذا الوقت.. فيذبح قضاءً.

وللحاج أن يأكل من لحم هديه، وذلك لقوله تعالى: **﴿فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير﴾**.

والمختار: أن يقسمه ثلاثًا.. فيأكل الثلث، ويهدى الثلث، ويتصدق بالثلث.

****

الحلق أو التقصير

وبعد أن يقوم الحاج بذبح هديه.. له أن يحلق شعره، أو يقصره، على حسب رغبته، إن كان من الرجال.

وأما المرأة: فلا حلق لها، ولكن تقصر شعرها من أطرافه، ولو بمقدار ثلاث شعرات.

ثم يستقبل القبله، ويكبر ويدعو، ويصلى كذلك - إن أمكن - بعد فراغه من الحلق أو التقصير، شكراً لله تعالى.

ومن طريف وجميل ما يروى هنا..

قال وكيع: قال أبو حنيفة: أخطأت فى خمسة أبواب من المناسك عند الحجام - أى الحلاق- وذلك أنى حين أردت أن أحلق رأسى: وقفت

فقلت له: بكم تحلق رأسى..؟

فقال: أعراقى أنت..؟

قلت: نعم.

قال: النسك لا يشارط عليه.. إجلس.

فجلست منحرفا عن القبلة.

فقال لى: حرِّك وجهك إلى القبلة.

وأردت أن أحلق من الجانب الأيسر.

فقال: أدر الشق الأيمن من رأسك، فأدرته.

وجعل يحلق، وأنا ساكت.

فقال لى: كبر.

فجعلت أكبر، حتي قمت لأذهب.

فقال لى: أين تريد..؟

فقلت: رحلى.

قال: صلِّ ركعين، ثم امض.

فقلت: ما ينبغى أن يكون ما رأيت من عقل هذا الحجام..!!

فقلت له: من أين لك ما أمرتنى به..؟

قال: رأيت عطاء بن أبي رباح يفعل هذا.

* * *

ومن المعلوم.. أن هذا الحلق أو التقصير، إن كان للحاج بعد الذبح: فهو للمعتمر.. بعد السعى بين الصفا والمروة.

ويستجب لمن حلق أو قصر: أن يقلم أظافره، ويأخذ من لحيته وشاربه.

كما يستحب للأصلع: إمرار الموسى على رأسه تعبدا.

كما يستحب بعد ذلك: أن يغتسل، ويتطيب ويلبس أجمل ثيابه، وهذا هو التحلل الأول.. الذى يبيح له كل شىء إلا النساء.

ويتوجه إلى يبت الله تعالى لأداء طواف الافاضة، وهو المسمى أيضا طواف الزيارة.

وذلك بعد أن من الله تعالى عليه بالمغفرة، والرضوان، وأصبح - بفضل الله وكرمه - كما ولدته أمه طاهرا من كل ذنوبه، إن شاء الله تعالى.

وكأنه يشكر ربه على هذه النعمة الكبرى.

فإلى طواف الإفاضة، فيما يلى:

****

طواف الإفاضة

وهذا الطواف: ركن من أركان الحج، إذا لم يفعله الحاج.. بطل حجه، لقوله تعالي ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج :٢٩].

وأول وقته: من نصف الليل من ليلة النحر.

وأفضل وقته: ضحوة النهار، يوم النحر.

وآخر وقته آخر شهر ذى الحجة.

ولكن يفضل تعجيله.

ومع ذلك.. يستحب للنساء: تعجيل طواف الإفاضة، إذا كن يخفن الحيض؛ حيث كانت السيدة عائشة رضى الله عنها: تأمر النساء بتعجيل الافاضة يوم النحر، مخافة الحيض.

بل إن عطاء بن أبى رباح رضى الله عنه، يرى: أن المرأة إذا خافت الحيض: لها أن تطوف طواف الافاضة، قبل أن ترمى جمرة العقبة، وقبل الذبح أيضا.

ولا بأس – كذلك – للمرأة أن تستعمل الدواء، ليرتفع حيضها، حتى تطوف البيت.

وبذلك: يكون الحج قد تم بجميع أركانه.

ويكون المرء قد تحلل تحللا كاملا، أى: له كل ما كان ممنوعا عليه خلال فترة الإحرام، حتى النساء.

ولكن..!!

بقيت أيام منى، ومعها رمى الجمرات، خلال أيام التشريق.

فإلى منى.. وأحكامها، فيما يلى:

****

البيت بمنى، ورمى الجمار

أما رمي الجمار.. فقد بيناه عند الحديث عن جمرة العقبة، فليرجع إليه من شاء.

وأما المبيت بمنى.

فإن الحاج.. بعد أن يطوف طواف الإفاضة، عليه أن يعود إلى منى للمبيت بها.

وهذا المبيت: واجب عند الجمهور، سنة عند الإمام أبي حنيفة.

ويكون ذلك: فى الليالى الثلاث، أو فى ليلتى الحادي عشر والثانى عشر فقط لمن تعجل فى يومين.

وله: أن يبيت فى أى مكان من منى.

كما أن له: أن يبيت أول الليل بمنى، وآخره بمكة، أو يبيت أول الليل بمكة وآخره بمنى.

ويلاحظ: أن هذا المبيت يسقط عن أصحاب الأعذار، ولا شيء عليهم لعدم هذا المبيت.

وأما غير أصحاب الأعذار: فعليهم المبيت بمنى، ومن لم يبت منهم بمنى فقد أساء، ولا شيء عليه.

والإقامة بمنى ثلاثة أيام: الحادى عشر، والثانى عشر، والثالث عشر، من ذى الحجة.

ولمن تعجل أن يبيت يومين فقط،بشرط أن يرجع من منى إلى مكة قبل غروب شمس اليوم الثاني عشر بعد الرمى، عند الجمهور.

وبذلك: تكون أعمال يوم النحر، قد تمت كاملة، بل أعمال يوم النحر، وأيام التشريق كذلك.

ولم يبق للحاج سوى شيء واحد، وأخير.

وهو: طواف الوداع.

فإلى طواف الوداع.

****

طواف الوداع

وهو آخر ما يفعله الحاج - غير المكى - عند انصرافه من مكة وقبل عودته إلى بلده.

عن ابن عمر رضى الله عنه "آخر النسك: الطواف بالبيت".

وبذلك: يكون الطواف بالبيت.. أول شيء يفعله الحاج، وآخر شيء يفعله كذلك.

واتفق العلماء على أنه مشروع.

فعن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: كان الناس ينصرفون فى كل وجه - أى إلى كل جهة - فقال النبى صلى الله عليه وسلم « لا ينفر أحدكم حتى يكون آخر عهده فى البيت » [رواه: مسلم، وأبو داود]

غير أنه "رخص للحائض أن تنفر إذا حاضت" يعنى: تسافر إلى بلدها دون أن تطوف طواف الوداع، ولا شيء عليها.

فعن صفية أم المؤمنين، رضى الله عنها: أنها حاضت، فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم.

فقال: أحابستنا هى..؟

فقالوا: إنها قد أفاضت.

قال: فلا إذا. [رواه: البخارى ومسلم].

والمعنى: أحابستنا حتى تطوف طواف الافاضة، الذي ركن من أركان الحج..؟ فلما علم صلى الله عليه وسلم أنها طافت طواف الافاضة، ولم يبق إلا طواف الوداع..، قال: فلا إذا" يعني فلا عليها فيه شيء لو تركته بسبب حيضها.

واختلف العلماء في حكم من تركه بدون عذر..

فقال بعضهم: أنه واجب، وعليه دم.

وقال بعضهم: إنه سنة، لا يلزم تركه شيء.

هذا..

ووقته: بعد أن يفرغ المرء، وينتهى من جميع أعماله، وشراء حاجياته، وقضاء مصالحه، ويريد السفر، قام بطواف البيت "طواف الوداع" هذا.

فإذا طاف: سافر فورا، دون أن يشتغل ببيع أو شراء، أو خلافه، إلا فى الأمور الضرورية، التى لا غنى عنها.

ويستحب للمودع.. أن يدعو بهذا المأثور عن ابن عباس رضى الله عنهما.. وهو:

"اللهم..!! إنى عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، حملتنى على ما سخرت لى من خلقك، وسترتنى في بلادك، حتى بلغتنى - بنعمتك - إلي بيتك، واعنتنى على آداء نسكى.. فإن كنت قد رضيت عنى: فازدد عنى رضا ، وإلا.. فمن الآن: فارضى عنى، قبل أن تناى عن بيتك دارى، فهذا أوان انصرافى - إن اذنت لى - غير مستبدل بك ولا ببيتك، ولا راغب عنك، ولا عن بيتك.

اللهم..!! فاصحبني.. العافية فى بدنى، والصحة فى جسمى، والعصمة فى دينى، وأحسن منقلبى، وارزقنى طاعتك ما أبقيتنى، واجمع لى بين خيرى الدنيا والآخرة إنك على كل شيء قدير" .

فإن لم يكن حافظا لهذا الدعاء، أو لم يتمكن من حفظه أو من كتابته، ليدعو به: فليدع بما شاء من أى دعاء آخر، ييسره الله تعالى له.

ختاماً..

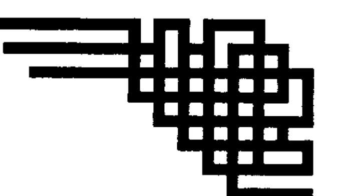
وبهذا.. يكون الحج قد تم تماما.

وللحاج: أن يعود إلى بلده.. سالما، آمنا، غانما – باذن الله تعالى – حجا مبرورا، وسعيا مشكورا، وذنبا مغفورا.

ولا عليه: إلا أن يحافظ على نعمة الغفران التى أنعم الله عليه بها..

بحيث تظهر آثار هذه النعمة –بإذن الله تعالى – عليه، في عقيدته، وأخلاقه، وعباداته، ومعاملاته، – حسب ما بيناه سابقا– بحيث يصدق عليه.. قوله تعالى : ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الأنعام:١٦٢] .

****



الفهارس

* فهرس : مصادر الكتاب .
* فهرس : كتب المؤلف .
* الفهرس العام .

مصادر الكتاب

القرآن الكريم

إحياء علوم الدين – للإمام الغزالى .

تهذيب سيرة ابن هشام – عبدالسلام هارون

الرحيق المختوم – صفى الدين المباركفورى

سنن أبى داود

سنن ابن ماجه

سنن النسائى

صحيح البخارى

صحيح مسلم

الفتوحات الإلهية – سليمان الجمل

فقه السنة – سيد سابق .

الفقه على المذاهب الأربعة – وزارة الأوقاف .

كتاب التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم – محمد طاهر الكردى .

المستطرف فى كل فن مستطرف – للإبشيهى

مشروع برنامج تربوى إسلامى لإصلاح النفس د . عبدالحى الفرماوى

موسوعة التفسير الموضوعى جـ١ – د . عبدالحى الفرماوى

النبوة والأنبياء – محمد على الصابونى

كتب للمؤلف

١- الأخوة.. طريق السعداء

٢- الإرهاب: بين الفرض والرفض فى ميزان الإسلام.

٣- الاستقامة.. فلاح فى الدنيا ونجاة فى الآخرة.

٤- البداية في التفسير الموضوعى.

٥- تدوين القرآن الكريم.

٦- تهذيب تفسير ابن كثير (تحقيق وتعليق)

٧- حراجة التجميل.. بين التشريع الإسلامى والواقع المعاصر.

٨- حرب الخليج فى ميزان الإسلام.. أسباب وأحكام.

٩- الخلافات الزوجية.. صورها، أسبابها، علاجها.

١٠- دروس تربوية من الهجرة النبوية.

١١- رسم المصحف بين المؤيدين المعارضين.

١٢- ١٤- زاد الدعاة من هدى القرآن الكريم (ثلاثة أحزاء).

١٥- زينة المرأة.. بين التشريع الإسلامى والواقع المعاصر.

١٦- السلام فى الإسلام.

١٧- سورة النور.. تفسير، ودروس، وأحكام.

١٨- سورة يوسف عليه السلام « مشاهد، ودروس ».

١٩- صحوة فى عالم المرأة « رد على د. زكى نجيب محمود ».

٢٠- الصربيون.. خنازير أوربا.

٢١- طريق السعادة.. التوبة إلى الله.

٢٢- عشر مخالفات شرعية فى وثيقة مؤتمر السكان « القاهرة ١٩٩٤م ».

٢٣- قصص الأنبياء.. للإمام ابن كثير « تحقيق ».

٢٤- قصة النقط والشكل فى المصحف الشريف.

٢٥- كتابة القرآن الكريم بالرسم الإملائى أو الحروف اللاتينية. « اقتراحان مرفوضان ».

٢٦- ليلة القدر.. فى الكتاب والسنة.

٢٧- المسلمون.. بين الأزمة والنهضة.

٢٨- مشروع برنامج تربوي إسلامى لإصلاح النفس.

٢٩- منجد المقرئين.. للإمام ابن الجزرى « تحقيق ».

٣٠- الموت فى الفكر الإسلامى.

٣١- الموت وأحوال القيامة.. للإمام الغزالى « تحقيق ».

٣٢- موسوعة التفسير الموضوعى جـ١

٣٣- وصايا سورة الإسراء.

الفهرس العام

الموضوع	الصفحة

مدخل ٥

الفصل الأول : (مطالب أولية)

تمهيد ١١

المطلب الأول : التوبة ١٣

المطلب الثاني : تجديد النية ١٧

المطلب الثالث : الإخلاص ١٩

المطلب الرابع : الاتباع ٢١

المطلب الخامس : تصفية القلب ٢٥

المطلب السادس : التهيؤ النفسى للبقاع الظاهرة ٢٧

المطلب السابع : معرفة أن الحج رحلة جهادية تربوية ٣٤

المطلب الثامن : تلمس الحكم والأسرار ٣٩

المطلب التاسع : معرفة بعض منافع الحج ٤٢

المطلب العاشر : الانتفاع بهذا المؤتمر العالمى ٤٤

الفصل الثاني : (ذكريات غالية)

تمهيد ٥٠

الذكرى الأولى: ذكرى أبينا آدم عليه السلام ٥١
الذكرى الثانية: ذكرى هجرة إبراهيم عليه السلام الأولى إلى مكة ٥٤
الذكرى الثالثة: ذكرى هرولة (هاجر) بين الصفا والمروة ٦٠
الذكرى الرابعة: ذكرى رؤيا إبراهيم عليه السلام ٦٢
الذكرى الخامسة: رحلات إبراهيم عليه السلام إلى مكة ٦٤
الذكرى السادسة: ذكرى رفع قواعد البيت الحرام ٦٧
الذكرى السابعة: ذكرى حادثة الفيل ٦٩
الذكرى الثامنة: ذكرى ميلاد محمد ﷺ ٧٤
الذكرى التاسعة: ذكريات سيرة محمد ﷺ ٧٦
الذكرى العاشرة: ذكرى حجة الوداع ٧٨

الفصل الثالث: (نتائج مرجوّة)

تمهيد ٨٩
أولا: تحديد الهدف ٩١
١- صحة العقيدة ٩١
٢- متانة الأخلاق ٩٣
٣- سلامة العبادة ٩٤
٤- حسن المعاملة ٩٧
ثانيا: الطريق الموصل إلى الهدف ١٠١

١- معرفة هذا الدين ١٠١
٢- معرفة أعداء هذا الدين ١٠١
٣- معرفة لم خلقنا الله؟ ١٠٢
٤- معرفة منزلة الدنيا من الآخرة ١٠٢
٥- معرفة حتمية الموت ١٠٣
٦- العمل بالإسلام ١٠٣
٧- العمل للإسلام ١٠٤
٨- العمل للمسلمين ١٠٤
ثالثا : وسائل المحافظة على الهدف ١٠٦
١- المراقبة ١٠٦
٢- المحاسبة ١٠٧
٣- المعاهدة ١٠٨

الفصل الرابع : (مناسك الحج والعمرة)

أولا : بعض المعلومات الهامة ١١٣
الفرق بين الحج والعمرة ١١٤
أنواع الإحرام ١١٥
تكرار العمرة ١١٧
فى فضل الحج والعمرة ١١٩

تقبيل الحجر ١٢١

زيارة قبر المصطفى ﷺ ومسجده الشريف ١٢٧

ثانيا : كيفية الحج والعمرة ١٣٤

تمهيد ١٣٥

الإحرام ١٣٧

التلبية ١٤١

طواف القدوم ١٤٣

السعى بين الصفا والمروة ١٤٧

التروية ١٥٠

الوقوف بعرفات ١٥٢

المبيت بمزدلفة ١٥٦

يوم النحر ١٥٨

١- رمى جمرة العقبة ١٦٠

٢- الذبح ١٦٦

٣- الحلق والتقصير ١٦٨

٤- طواف الإفاضة ١٧١

المبيت بمنى ورمى الحجار ١٧٣

طواف الوداع ١٧٥

ختاما ١٧٧

الفهارس ١٧٩

مصادر البحث ١٨١

كتب المؤلف ١٨٢

الفهرس العام ١٨٤